

أدونيس

هجرة الشمس



هجرة الشمس

أدونيس

هجرة الشمس



الساقي

© دار الساقى 2026
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى 2026

ISBN 978-614-03-2360-5

Published 2026 by Dar Al Saqi

Dar Al Saqi
Gable House, 18-24 Turnham Green Terrace, London W4 1QP
Tel: +44 (0) 20 7221 9347

www.daralsaqi.com
www.saqibooks.com

تابعونا على

@SaqiBooks		@DarAlSaqi
@SaqiBooks		دار الساقى
Saqi Books		DarAlSaqi
@saqibooks		@daralsaqi

I

غالبًا، أتخيّل أنّ التعاليم - أرضيّة وسماويّة
ورقّ واحد ودّم واحد: تُرّهات.
هكذا أتوغّل في الرّفص، في غابة التّخيّل، -
أستنطق الجماد - الجبال وآفاقها وأشجارها
الطيور وأعشاشها
الماء والريخ والصّحو والغيم - أرنو
بُحنوّ، إلى كلّ شيءٍ.
أقمّص قيثارةً وأضغي
لنبيّ الحياة - رسولِ النّبات.

II

لستُ نهجًا،
ولستُ دليلًا، -
لستُ إلا سؤالًا.

هكذا نتأخى -
نحنُ والشمسُ، نورًا وظلًّا،
ونهاجرُ في أفقٍ واحدٍ.

III

أعرف الآن، يا أيّها الشعر،
ماذا تقولُ مداراتك الرّائية.
للحقيقةِ تَذْيَان: تَذْي
للرّضاع، وتَذْي
للحياةِ على شفرة الهاوية.

أ / ألف

جَمَحَ الوقتُ، والوردةُ التي تفتح الحقلَ،
لم تفتَح.

هُوَ ذا ظِلِّي ضِدُّ، -
ما أجملُهُ - نِدًّا ونقيضًا.

حُبُّكَ ضَوْءٌ، حَبِّي ظِلٌّ:
وعدُّ لقاءٍ، أم وعد فراقٍ؟

أتراها الغيومُ خيامٌ من الدَّمعِ
أم سُفُنٌ مِنْ دُخَانٍ؟

لا يرويني ماء الغَيْبِ،
وماء الواقع رَمْلٌ.

لستُ دمعًا،
وإن كنتُ جرحًا.

جَلَسَ الوقتُ يتلو عليّ مزاميرَهُ
وجلسْتُ أعدّ الحروفَ التي خانَهُ
النُّطقُ فيها.

شَغَفِي جَنَحَتُهُ أساطيرُهُ.

أيها الغيبُ، قُلْ لي:
كيف يُقَطِّعُ رأسُ إلهٍ
بِسَيْفِ نَبِيٍّ؟

ما يكونُ غَدُ الأَبجَدِيَّةِ
إنْ صارَ كُلُّ جوابٍ سؤالا؟
ما يكونُ غَدُ الكلماتِ،
إذا صارَ كُلُّ سؤالٍ جواباً؟

- دائماً،
كانتِ الطَّرِيقُ إليها زَهْراً ذابلاً.
- دائماً،
كانتِ الطَّرِيقُ إليه، ضَياعاً مُضِيئاً.

خرجَ الشَّرْقُ من شَرْقِهِ
صارَ مأوى لكلِّ غُروبٍ.

تَعَبْتُ في جِناحَيَّ، لَكِنِّي لا أَرى أَيَّ غُصْنٍ أَفِيءُ إليه، -
تَعَبْتُ يسألُ الخيْطُ بيني وبين الطبيعة:
يا أَيُّها الخيْطُ،
قُلْ لي:
كيفَ لم تنقِطْ؟

وردة سألت أختها:
أتراها الكتابة حبٌ وعطرٌ؟

هوذا، - لم أسألك
جنت؟ ومن أين؟
جسدي، مرة: كيف
سألتك:
كيف أكتب صيرورة؟
من أكون؟
وماذا ستفعل؟ من، أنت في؟ وآزرني
في سؤالي، كما وشوشني رياح
تباريحي، الجنون.

عالم - شطرت مداراته
يتأله في لفظة، جثة، يتأنس
في حد سيف وفي سن رمح
يتهاش: ياكل أو يؤكل
ويصلي لمن يستبيح ويخثو لمن يقتل.

لا مكان لأي كتاب
في النعيم، إذا لم يكن حبره جحيماً.

إن يكن بين شِغري والمستحيل لقاء
فلأن السماء - سماء الملائك في كون حبي مخنوقة، مُطفأة

ولأن الفضاء امرأة.

حكمة أن تقول الغيوم لأمطارها: وداعاً.

أمس، دون انتظار ودون سؤال
نجمة حضنتني،
أخذتني إلى بيتها، ولكن
نسيت كيف تفتح أبوابه.

ينابيع

هوذا أتعلّم سحرَ الخروج مع الغيمِ
في نُزْهة،
وسِرُّ الدُّخُولِ إلى رثتي بُرْعَمِ.
هوذا أتعلّم كيف يكون الحِوَارُ
بين شيءٍ أصمٍّ وآخرٍ أبكمٍ. لكن
من أسألكُ: من أين يأتي هواءُ الحقيقةِ؟ قل لي
يا طريقَ الترحّلِ في التّيهِ، يا أبجديةَ هذا الغُبارِ.

كُلَّ يومٍ، أرى الموت في صورةٍ، -
يجيءُ ويجلسُ قُرْبِي، صامِتًا، ضاحِكًا.
هوذا يدخل الآن، بين يديه

عَصَا - حَيَّةٌ، وَتُفَاحَةٌ...

ليست الرُّوحُ رَوْحًا
إذا لم تَكُ الطَّبِيعَةُ أُمًّا لَهَا.

شَجَرٌ ذَابِلٌ تَرْتَلُ أَحْزَانُهُ
جَوْقَةٌ مِنْ رِيَّاحٍ.

سُلْطَةٌ تَتَقَمَّصُ جَبَانَةً، بِلَادُ
تَتَعَبَّدُ جَلَّادَهَا.

الْأَسَاطِيرُ تُمْلِي تَبَارِيحَهَا
عَلَى الْأَبْجَدِيَّةِ، وَالْمَاءُ يُصْغِي.

نَجْمَةٌ تَتَقَيُّأُ مَا قَالَهُ عَاشِقُهَا.

الينابيع لم تقرأ اليوم إلا
المياه التي هجرتها.

عَبْتُ - كوكب
يَذُبُّ على ظهر أفعى.

ليس للواحد الواحد، الآن، بيت
غير أشلاء أبنائه وأنقاضهم.

تاريخ يغرُّج، - هل
يحتاج، الآن، إلى كرسي يمشي؟

المكان يُسائل: أين المكان؟
والزمان يجرُّ الزمان.

فَلَكْ

لا أَرَى في السَّمَاءِ سِوَى أَنْجَمٍ
لا تَحِبُّ السَّمَاءَ.
هل أُسَائِلُ أَرْضِي - ممزوجةً بالهواء:
”لِمَ لا يَعْرِفُ الْغَيْبُ أَنْ يَتَجَسَّدَ
في جَذْعِ زَيْتُونَةٍ؟
أو يسافرَ في وَرْدَةٍ؟“.

مَنْ يَقُولُ لِي الْيَوْمَ، أَيْنَ الْمَحِيطُ الَّذِي أَنْتَمِي
إِلَى مَائِهِ؟

لِي، وَخَدِي، آثَارِي الَّتِي رَسَمْتُهَا جِرَاحِي عَلَى أَرْضِنَا
وَلَا شَأْنَ لَكَ
أَيُّهَا الْفَلَكَ.

مَا الْحَقِيقَةُ إِنْ لَمْ يَكُ الشَّعْرُ مِفْتَاحَهَا؟

يَا لِلْخَيْرَةِ، حِينَ تَكُونُ الْحِيرَةُ شَمْسًا.

لِي دَمٌ وَاحِدٌ وَلِي مُنْهَجَتَانُ.

اقتَحِمِ، واخْتَرِقِ ذَلِكَ الشُّورَ،
قُلْ لِلْعُصُورِ، وَقُلْ لِلْجِرَابِ:
العَذَابُ أَخٌ للعَذَابِ.

قِصَّةُ عَاشِهَا وَرَوَاها،
وَلَكِنَّهُ مَحَاها.

تجاعيد

لا أشكُ: التجاعيدُ وجهٌ آخرٌ داخلَ الوجه: ضوءٌ
وظلٌّ، خطوطٌ: رسومٌ، والتَّباريحُ ألوانُها.

في الفراشِ، على الأرضِ، في البيتِ علّمتُ جسمي
كيف يحضن أسرارهُ، ويُسامِر أهواءهُ،
وتعلّمت منه
أن أجادل حلمي
وأهتيّ ليل السّريّرِ
افتتاناً به، واحتفاءً بها.

جذع زيتونة يتذكر طيرًا.
ضغ يدك على خصرها.
تذكر
كيف كان الجناح يقص على الزيت
معراجة إلى عشه.

يسكن الله كالحب، كالشعر في الغور، في القاع،
في الظل: لا سلطة، ولا عرش، لا راية –
غير وجه الفضاء.
كرّر القول كي تسمع السماء، ويفهم أهل السماء.

إنه الحب يستشرف الطريق،
ويستبطن المكان:
جسدي معجم، ودمي ترجمان.

لا أخاف من الغيب، لكن
ما يكون الحضور إذا لم يكن لقاء
بين حرية وحرية؟

أثير التَّعب

هُوَ ذَا:

أَكْتُبُ اللَّهْبَ الْمُسْتَسِرَّ - بِرَاكِينَهُ

وَمِدَارَاتِهِ،

وَأَحْشَاءَهُ الضَّائِعَةَ،

أَكْتُبُ الْفَاجِعَةَ.

لَأُثِيرَ التَّعْبَ

لِلْأَسَاطِيرِ مَبْثُوثَةً فِي مَتَاهَاتِهِ،

أَنْتَمِي،

وَأَغْنِي فُضَائِي - هَذَا الرَّمَادَ اللَّهْبَ.

لِي فِي مَعْجَمِ الشَّعْرِ وَالْحَبِّ أَكْثَرُ مِنْ صُورَةٍ
تَجِيءُ وَتَمْضِي، تَغِيْبُ وَتَظْهَرُ:
لَيْسَتْ سِوَايَ وَلَيْسَتْ أَنَا.

فَجَاءَتْ، يَتَوَرَّدُ وَجْهُ الْحَجَرِ.
فَجَاءَتْ، رِيْشَةُ الْهَوَاءِ تَخُطُّ تَبَارِيْحَهَا لِلشَّجَرِ.
فَجَاءَتْ، كُلُّ طِينٍ حَنِينٍ
كُلُّ نَجْمٍ سَهَرٍ.

فَجَاءَتْ، دَجَلَةٌ، يَظْمَأُ
فَجَاءَتْ، يَهْرُبُ الْفَرَاتُ، وَلَا مَلْجَأُ.

شَغَفَنِي يَقْرَأُ الْآنَ أَسْرَارَهُ
عَلَى نَخْلَةٍ، -
لَمْ أَعُدْ صَالِحًا لِأَوَّلَدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ.

جَسَدِي خَالِقِي، -

منذ أصبحت طفلاً له،
صرتُ طفلاً به.

سأظلّ أفضل زيتونة على نجمة.

أتراها السماء
لا تحبّ على الأرض إلا القبور،
وإلا الهباء؟

صخرة الأبد - الكون،
كينونة هشة.

صِيغَةُ

جسدي - اتقدّم فيه اتأخّر فيه أسافر
عنه وأعود إليه ومنه أحرّك
أوقظ شينخوختي أقصّ عليها سفري
في طفولاته
عذابًا، ووسوسةً واغتراب
غالبًا - في الطريق تسيرُ معي نَمْلَةٌ
تتدخّرج، أو تتمرأى،
أو تحكُّ التراب.

صِيغَةُ الواحدِ التعدّد والكثرة،
أو لا يكون سوى لَفْظَةٍ.

ثلاث أغنيات

.I

شَاخَ جِسْمِي، لَكِنْ رَأْسِي مَا زَالِ طِفْلاً، -
كَأَنِّي أَقُولُ: يُشَيِّخُ عَقْلِي،
وَحِجَّتِي يَبْقَى كَمَا شَاءَ جِسْمِي، طِفْلاً.

.II

كَلْنَا هَارِبٌ - إِلَى نَفْسِهِ،
أَوْ إِلَى أَمْسِهِ.

بعضهم يتودّد للشمس كي تتفيا في ظلّه
 بعضهم يعشق الرّيح مستسلماً إلى خصرها
 بعضهم غاضبٌ على الشمس والرّيح -
 يا أيّها الأبد الكوكبُ،
 أنت في بيتك الآن، تكتب ما شئتُه
 وتقرأ ما شئتُه،
 ونحن هنا نلعبُ.

ب/باء

لا شيء، لا شيء

نَظَرُ إِلَيَّ الرُّمْلُ فَسَوَّانِي رَمْلًا نَظَرَ إِلَيَّ الْمَاءُ فَأَخَانِي
كَيْفَ أَسَافِرُ خَارِجَ نَفْسِي وَفِي دَاخِلِي قَارَاتُ
لَمْ أَعْرِفْهَا بَعْدَ سِرٍّ عَلَى طَرَفِ الْهََاوِيَةِ، إِنْ شِئْتَ
أَنْ تَصِلَ إِلَى نَفْسِكَ يَتَقَدَّمُ جَسَدِي نَحْوَهَا كَمَا
يَتَقَدَّمُ الْفَضَاءُ لَا شَيْءَ لَا شَيْءَ! نَسِيمٌ
عَابِرٌ يَعْزِفُ عَلَى قِيثَارِ الشَّجَرِ لَا شَيْءَ لَا شَيْءَ!
فَرَاغٌ مِنْ أَيْنَ لِلْكَلامِ أَنْ يَمْلَأَهُ؟

إِلَى أَيْنَ؟ نَجْمَةُ الْمَكَانِ تَكَادُ أَنْ تَنْطَفِئَ وَالزَّمَنُ
قِنْدِيلٌ شَاحِبٌ أَسْأَلُ نَفْسَكَ لَا تَسْأَلْنِي
لَيْسَ هُنَاكَ أَفَقٌ مَسْدُودٌ إِلَّا فِي مُخَيَّلَتِكَ.

الحزن، بيتًا

مات أبي مسافرًا في نهاياتِ الصَّيفِ وحدها النَّارُ
عرفت كيف تمسح عن جبينه عرقَ
السَّفرِ. لم تُقدِّم له منديلها،
أعطته أجملَ وأغلى ما تملك: أعطته نفسَها.

أكاد، أينما توجهت، أن أسمع بيوتًا تتنهد وتنشج، فيما
تستلقي على كتف الشمس. أكاد أن ألمس الغيابَ
كأنه جسمٌ يتقلب في سرير الهواء. إنه الحلم: ما لا أراه.
إنه الحزن، أتمنى أحيانًا أن يكون بيتًا لا يتسع لغيري.

أيام، - سلاحف أضناها السير.

لم أعرف حتى الآن كيف أقلّد الوردة ربما عليّ أن أبتكر
طريقة خاصة بي، وحدي:
إذا سأبدأ بمحاكاة عطرها.

قنديل عقْد طويل من فراشاتٍ محترقةٍ ينفرط أمام عينيه
وأنت أيضًا أيّها الضوء؟ ظلمات من الجهات كلّها تتلاقى
كلّ يومٍ تحتفي مسبقًا بموته حقلٌ نسيّ هو أيضًا كلّ
شيءٍ يبدو كأنّه لم يعد يريد أن يتذكّر حتّى الماء
أقرأ دائمًا شهوات الغيوم لا أمارس ما يشبه هذه الشهوات
لكن لا أمل من القراءة المنفى زرع لحصاد ليس غالبًا إلا طريقًا
نحو منفى آخر

مرّة قال لي البحرُ كأنه يعاتبني لماذا لم تسألني حتّى الآن
كيف أعانق الصّخر كيف أتوسّد الرّمْل كيف يتّسع صدري
للشّيء ونقيضه
عليك أن تهبط عميقًا في معنى الخريف إن شئت أن تفهم صورة
الرّبيع.

آخرُ حديث مع البحر، بحر جبلة، قال لي: ”جسدك الآن

أمواج لا شطآن لها، ثم وشوش مخيلتي:
”أنتِ مُثنى نفسي وأنا جمعُها“.

يكاد الضوء نفسه أن يصدأ في قناديل المعنى.
وما هو، رويدًا رويدًا، يتقدّم نور المجرّات والملائكة إلى حلبة
المصارعة.

ما أجمل أن ترى الشمس في قصّابين تجلس معك تحت
زيتونة، وتُحاورُ الهواء.

للحواء سلاسل وللشوك أئداء، تُرى - لا يزال حقيقياً ما قاله
الحقيقة؟

متى أيها الفراث، وأنت يا دجلة،
ستَرُسُو سُفنُ أمواجكما
على شواطئ المعنى؟

بالنوم يقدر الإنسان أن يدير ظهره إلى كل شيءٍ لكن لماذا لا
أعرف أن أنام؟ أَلَاِنَّ الأرضَ لن تنتهي من حفر ذلك القبر
الذي يتسع لتلك السماء؟

كلَّ يومٍ في الغاباتِ كلها تقول الأوراق جميعاً للعاصفة إنها
ورقة التين قول لا تنكره هذه الورقة طوبى لورقةٍ
تناطح العاصفة كأنها تقول مَنْ لا يتجاوز نفسه باستمرارٍ
يخسرُ نفسه باستمرارٍ

جسدي أفقٌ مليءٌ بطيور الحزن. ما أغربَ هذه الطيور لا تعرف
أن تبني أعشاشها إلا في رأسي هكذا سألني حبُّها متى
يكون الإفراطُ اعتدالاً؟
لم أعرف حتى الآن كيف أهتدي إلى جوابٍ يرضيني.

الغراب الأول

- ١ -

الْتَهَبَ ضِرْعُ الْأَرْضِ، مِنْذُ خَرَجَ الْآلَهُةُ مِنْ صُدُورِ الْحَجَرِ،
وَدَخَلُوا فِي أَنْابِيهِ الْآلَةِ.

- ٢ -

يَقُولُ إِنَّهُ خُلِقَ إِنْسَانًا سَوِيًّا، -
لِمَاذَا، إِذَا، يَبْدُو كَأَنَّ لَهُ أَكْثَرَ مِنْ رَأْسٍ؟

- ٣ -

لَا تَقُلِ الْحَقِيقَةَ لِئَلَّا يَقْتُلَكَ الَّذِينَ يُصْغَوْنَ إِلَيْكَ.

قُلِ الْحَقِيقَةُ لَكِي لَا تُصِيرَ قَاتِلًا!

– ٤ –

كلّا، ليس لك ماءٌ إلّا ذلك الذي ينبجسُ من الصخرةِ
التي تضربها أنتَ نفسك.

– ٥ –

– من أين طار الغراب الأول؟

– من حديقة قايين.

– أين يقيم الآن؟

– أينما شاء في حدائقِ الله.

– ٦ –

المِمحاةُ قلقٌ مُسبقٌ داخلِ الفكرة.

– ٧ –

منذُ اليوم الذي رأى فيه الإنسانُ كيف ييني العنكبوتُ بيته،
لم يتوقّف عن تقليده.

- ٨ -

للفراشة لغةً،

لا يعرف كيف يحتضنها، قراءةً، وكتابةً،
إلا قارئ واحد: اللهب.

- ٩ -

لم أحلم، لا أحلم إلا لكي أرى الواقع، -
واقعيًا،
أو لكي أحسن رؤيته.

- ١٠ -

”بلاد مقدسة“؟

أهي، إذا، بلاد لا تحيا إلا بموت سُكَّانها:
قَتلى وقاتلين؟

- ١١ -

هل تريد أن تفهم النهاية، حقًا؟
إذا، تتلمذ على اللانهاية.

- ١٢ -

الخضوع للطبيعة هو الخضوع الوحيد الذي يمكن أن يكون
شكلًا عاليًا من أشكال العلوّ والسيادة.

- ١٣ -

هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ الْهَجْرَةِ:

غَزَالَةٌ شَارِدَةٌ

يَقْتَفِي خَطَوَاتِهَا وَعَلُ الشَّعْرِ.

هَذَا يَوْمٌ آخِرٌ، - لَمْ يُرَبِّثْ أَحَدٌ عَلَى كَتْفِيهِ، - لَمْ يَوْمِ
لأَحَدٍ. الأَطْفَالُ، وَحَدَمُهُمْ، كَانُوا يَتَزَلَّجُونَ عَلَى ظَهْرِهِ،
وَيَلْعَبُونَ بِكُرَةِ اسْمِهَا الشَّمْسُ هَكَذَا، خَيْلٌ إِلَيَّ، الْيَوْمَ،
أَنْي أَرَى الشَّعْرَ يَغْسِلُ جِرَاحَ الْإَيَّامِ.

- ١٤ -

سَأَقُولُ لِلشَّمْسِ - الْيَوْمَ: نَوْرُكَ طَائِرٌ يَفِرُّ مِنْ يَدِ الْيَوْمِ.

وَسَوْفَ أَسْأَلُهَا: لِمَاذَا لَا تَلِيقُ بِمُتَحَفِ هَذَا الْيَوْمِ، إِلَّا تَمَائِيلُ
الرَّيْحِ؟

لِمَاذَا تَقْطَعُ خِيوطَ الشَّبَكَةِ الَّتِي أَرْمِيهَا فِي بَحِيرَةِ الْيَوْمِ؟
لِمَاذَا، بَلَا نِهَآيَةٍ تَقْمُصُ نَافِذَةَ الْيَوْمِ صَحْرَاءَ الْيَوْمِ؟

لماذا تتكذّس الأيام
كمثل قطعانٍ من الورق في حظيرة اليوم؟

- ١٥ -

أقرأ، أتأمل.
هل يظنُّ الأفق أنني أتردّد في قبول ما يكتبه وما يقرؤه؟
ربّما.
ربّما لهذا، يهجم الهواء، هذه اللحظة، ويمدُّ لي يديه لكي
يصافحني!

لا يعرف أحد كيف
يُضيء
إلا إذا عرف كيف
يَسْتَضِيء.

- ١٦ -

أين صار ذلك الوتر الذي ينتمي إلى اللانهاية والذي تعزف
عليه الحرّية موسيقاها؟

- ١٧ -

اليوم تجرأتُ وقلتُ لأحزاني:
اتركيني إذا،
وانضمّي إلى قوافل الغيوم.

أوه! الآن، يكادُ الزمن نفسه أن يسأل:
ما السّاعةُ الآن؟

- ١٨ -

لو كانت لي القدرةُ، لخلقتُ للسماء همًّا واحدًا:
كيف تحيا في سريرٍ واحدٍ مع الأرض؟

- ١٩ -

حُزنٌ يعلّق على حَبْلِ الشمس
قميصه الممزّق.

- ٢٠ -

لن تعرف كيف تكتبُ الممكن إلا إذا عرفتَ

كيف تقرأ المستحيل.

- ٢١ -

على الشرفة التي تحتضن الآن قَدَمَي الشمس،
أرى إلى الليل كيف يُتابع كتابة سيرته.

رائحة أنقاض تتراكم،
والزمن بدأ يتعلم السير، حافياً.

- ٢٢ -

ذلك المصلوب حياً، ويتابع حياته مصلوباً،
من يكون
إن لم يكن أنا نفسي،
أو من يشبهني؟

- ٢٣ -

سأقول لكتب الغبار: أنتمي إلى لغة الريح.
سأقول لكتب الريح: أنتمي إلى لغة الغبار.

- ٢٤ -

تنسى دائماً أيها الشعرُ
أن تُعلّمني كيف أتنبأ بأطفالٍ
يعرفون كيف يحولون الكواكب إلى خيولٍ،
والسفن إلى غيوم.

- ٢٥ -

أيها الشمسُ،
أكرّر لك، شاكياً، سائلاً، ما كنتُ أترددُ في قوله:
حروفٌ ثلاثة في لغتي العربيّة:
تنفجرُ في وجهي دائماً - لكي تنتظم في كلمتين متناقضتين:
الحروف هي: ألف لام هاء
الكلمتان هما: إله، آله.
كيف أمنع هذا الانفجار؟

- ٢٦ -

سألني الضوء: ماذا تكتب؟
سبقني الظلُّ إلى السؤال: لماذا تكتب؟

- ٢٧ -

- من أين تجيء أيها الفضاء؟
- منك، أنت - ومن صداقاتك.

- ٢٨ -

عندي، غداً، موعد مع فراشة،
في معزلٍ عن المكانِ
الذي يعيش فيه قابيلُ وهايلُ.
هل قلتُ: غداً؟
هل قلت: أين؟

- ٢٩ -

أنقاض أحلام تتعانق تحت أهدابي، -
ربّما لهذا،
لم تكلمني الرّيح، اليوم، كما وعدتني.

- ٣٠ -

خفيفاً،

ينزل ندى المطر، هذا المساء،
على وردة الظن.

- ٣١ -

أعماق الإنسان هي أعاليه.
في ذلك، هو أيضًا: لا شريك له.
إن كان للسماء بحيرات وينابيع فهي الآن: الأشلاء
والمقابر.

- ٣٢ -

سافر، -
مهما كان السفر قصيرًا،
فهو يطيل الحياة.

- ٣٣ -

في أعضائي ثلج يتراكم،
في رأسي نارٌ تزدادُ تاججًا.

- ٣٤ -

لِمَاذَا هَبَطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ
مُحَارِبًا، لَا مُسَالِمًا؟

- ٣٥ -

هَلِ الْإِنْسَانُ، الْيَوْمَ، هُوَ مَنْ يَتَقَدَّمُ، حَقًّا؟
أَمْ هُوَ عَكَازٌ لِمُتَقَدِّمٍ وَاحِدٍ اسْمُهُ الزَّمَنُ؟

- ٣٦ -

أَوْه! كَأَنَّ
لِلزَّمَنِ رَأْسًا يَشْبَهُ رَأْسَ الْإِنْسَانِ!

- ٣٧ -

فِي قُبَّةِ السَّمَاءِ قَرَبَ رَأْسِهَا، شَقُوقٌ، بَدَأَتْ تَزْدَادُ اتِّسَاعًا.

- ٣٨ -

كَمْ وَرْدَةٌ ذُبُلَتْ حَتَّى الْآنَ
فِي شَرِيَانِكَ أَيُّهَا الضَّوُّ الْبَاقِي؟

- ٣٩ -

أنا الرغبة،

وهيهات! من أين لي أن أبلغ عتبة اللذة؟

- ٤٠ -

لي أبديتي الخاصة:

أعيشها لحظةً لحظةً في أحضان الزوال.

- ٤١ -

ما يجمع حتى كأنه يكاد أن يجنح -

ذلك هو الأفق الذي لا تزال رغباتي توغل في أنحائه.

- ٤٢ -

نعم يا صديقي القارئ، يكاد عمري أن يقول وداعاً للضوء،

ولم أتقن بعد فن الاستضاءة.

زمني، وحيداً، يقاتلُ الزمنَ كُلَّهُ:
ما أصعبَ حياتي، وما أسهلها!

التوأم

حاضِرٌ يزفرُ ويشهق في فُقَاعَةٍ من الغاز لا تقلقُ أيها الجارُ
الذي يندُرُ حياته لمحاربة جاره لا أنتمي إلى واقعك لا
أزاحمك في أي شيء لا أريدُ أي شيء لا أعاشِرُ إلا التوأم
لا تقلقُ خذْ كُلَّ شيء.

واقفة تعيش أفكارِي في رأسي كأنها تعيش في زنزانية.
أهذا عقابٌ لأنني سألت مرّة: "سَيَفُ مؤمنٌ يحزُّ عنقًا كافرًا: هل
المعتقُ مجزرة؟"

هل آمل يومًا أن أعرفَ الأبجديةَ بما أعرفه؟
كانتِ الشمسُ أكّدت لي، أمس، حرصها الدائم على قراءة
جسدها لكن، لماذا غابت عندما بدأت القراءة؟

عَصْرٌ يَتَلَمَذُ فِيهِ الْقَتْلُ عَلَى الْقَتْلِ وَالدَّمُّ يَرْسُمُ الدَّرُوبَ
أَحْلُمُ بِمَدُنٍ أُخْرَى لَا نَرَى فِيهَا أَجْسَامًا تَرْتَجِفُ بَاكِيَةً عَلَى أَشْلَانِهَا
حِينَ وَعَلَى أَصْدِقَائِهَا حِينًا - الْأَشْلَاءُ فِي الْبُلْدَانِ الَّتِي أَنْتَمِي
إِلَيْهَا جِيوشٌ وَحُرُوبٌ فِي اللَّغَةِ أَيْضًا وَعَلَى الْوَرَقِ - جَرَائِدُ
وَكُتَبًا.

إِنَّهَا الرَّمَادُ يَتَاخَى مَعَ سَمَاوَاتِ الْخَالِقِ فِي مَوَاكِبَ لَا تَنْتَهِي مِنْ
النَّوَاحِ وَالْتَعَاوِيدِ.

إِنَّهَا الرِّصَاصَةُ - التَّوَأْمُ إِثَاهَا، طَائِرَةٌ إِلَيَّ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي أَنْتَمِي
إِلَيْهَا لَا تَرِيدُنِي أَنْ أَسْتَسْلِمَ
تَرِيدُ أَنْ تَهْجُمَ عَلَيَّ حَيْثُ أَنَامُ فِي فِرَاشِي قَرَبَ أَطْفَالِي وَلَنْ
تَقْتُلَنِي بِيَدِهَا وَأَظْفَارِهَا وَأَنْيَابِهَا.

إِنَّهَا شَهْوَةُ الْبَطْشِ وَالْفَتْكِ يَكَادُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِي، كَمَثَلِي:
أَنْ يَعْبُرُوا الْحَيَاةَ دُونَ أَنْ يَرَوْهَا، حَقًّا.

نِسَاءَ حَوَائِلُ لَا أَثْدَاءَ لَهُنَّ
رِمَاحُ قَابِيلَ وَصَلَوَاتُ هَابِيلَ، تَحْرَثُهُنَّ وَتَحْرُسُهُنَّ.

وكنْتُ قرأتُ خَفِيَّةً أنَ مدينة تدمر كتبت إلى جارتها
بعلبك رسالةً سرِّيَّةً قالت فيها: ”كيف
يمكن أن يخافَ خالقُ الكون
من تمثالٍ أو لوحةٍ أو قصيدة أو يغارُ منها؟“

رُبَّما لا يحقُّ لمن يَعشَقُ الضَّوءَ والشمسَ إلّا أن
يعيشَ مَطْمَوسًا بالظُّلُمات وفي مستوى الغبار.

أين هي تلك التي يقال اسمُها: الرّوح؟ كلاً،
لا تَسِرْ إلّا على طريقٍ تشقّها أنت نفسك،
يداً بيدٍ مع صديقك التّرابِ.

هُوَذَا، بخيوطه الحريريّة يَبْنِي عنكبوتٌ شابٌ
في غرفةٍ نومي بيتَه الواهِنَ وها هو
الآن، في هذه اللَّحظة، يكتب على مدخله: سَهْلٌ
هو الموت، وما أصعبُ الحياة!

هكذا لا تردُّ الأشجار في قصَّابين على الرسائل التي تتلقَّاهما إلا
إذا كانت آتيةً من الرِّيح مرَّةً قالت لي أن
أترك للملائكة الذين يسهرون في لهب الشموع
أن ينقلوا إلى نيتشه هذه الرسالة: ليست
المشكلة في قتل الله إنها، على العكس،
في إعادة خلقه - صورةً ومعنى وفي تكرار الإعادة.
هكذا تتحوّل فكرة الله إلى ساعةٍ رمليّة.

عجبًا كأنّ فراشي الآن يتحوّل إلى مركبٍ ويتحوّل اللحاف
إلى
شراع وأنزلق متأرجحًا بينهما وأتشرّد
مصغيًا إلى أحشائي ألدّيك ما تقولينه يا أحشائي؟

كُلّ يَوْمٍ يتنافسُ عشاق الطّبيعة في الجواب عن هذا
السّؤال: أيّهما الأكثر حضورًا في الحياة: الهواءُ أو
الشّقاء؟

ماذا لو أنّ الإنسان كالماء لا ذاكرة له؟

يا للمعجزة المستسرة: لم نسمع حتّى الآن أن حروباً
وقعت بين سُكّانِ الجنّة!

”الإنسانُ شجرةٌ معكوسةٌ جذورها في السّماء“: كلامُ قاله
أفلاطون أو يُنسب إليه:
ألهذه الدّرجة كان هذا الفيلسوف موعلاً في ازدراء
الإنسان؟

كُلُّ شَيْءٍ مكانٌ مُحتمَلٌ لانبثاقِ ينبوعٍ - أو هاوية.

ما أجملَ حياتي في سيرها نحو الشيخوخة يتسابقُ
النّهار والليل لاحتضانها.

ذلك الشخص الآخر

القلم الذي لا أكتبُ، غالبًا، إلا به غرقَ أمسٍ في دمع التاريخ
وكاد أن يموت لولا لطفُ الحبر.

أهَيَّ خطواتي، هذه التي تعبر سهوبَ المسالكِ والممرّات؟
مَنْ

يكون، إذا، هذا الشخص الآخر؟ يسيرُ تحت جلدي
مقتفيًا آثارَ هذه الخطوات هلْ أسألُ
الساعاتِ المضادة التي تَسهَرُ على إعادةِ النظر في تقاويم

الوقت؟

أم أسأل الوقت نفسه؟

فراشةٌ في بيتٍ عنكبوت أتلك هي صورة الحقيقة في هذا
العالم؟

كأنني أصبح اليوم أكثرَ مَيلاً إلى الإقامة في فضاءِ
المصادفةِ مِنِّي إلى الإقامة في مقصورةِ اليقين ربّما
لهذا، لم أعد قادراً على النوم إلا في قلبي ألهذا،
يسألني هذا القلبُ دائماً: هل أنا أنت؟ هل أنت أنا؟

الجسدُ، جسدي، هو الكتاب الأكثر غموضاً ولا ينتهي
حبِّي من قراءته. عندما تحاول هذه القراءة أن
تخلقَ زَماني على صورة جسدي يثور عليّ المكان
وعندما

تُحاول أن تخلقَ مكاني على صورتهِ يثورُ عليّ الزمان.

تاريخ

كلُّ يوم يختار الموتُ بين أصدقائي رأسًا مقطوعًا يُعلِّقُهُ
وسامًا على صدر الوقت، في احتفالٍ كونيٍّ وأمس غضِبتِ
الأبجديةُ لسببٍ لم أعرفهُ فلم تنم احتجاجًا. وقد عرفتُ من
هنيهة، أنها لن تنام، أيضًا هذه الليلة.

الحبرُ عاتبٌ على الريح لأنها تسخرُ من الورق، وسوف يكونونَ
قلَّةً أولئك الذين سيُصغون غداً إلى خطابِ العبثِ الذي
سيلقيه المعنى.

فتحوا ثقبًا في جوفِ التاريخ ملأوها سُماً وقِيحًا، وكانوا قد

غرسوا بين شفتيه بوقاً حربياً هبط لتوّه من أشداق الملائكة،
لكي يحسنَ ترتيل الأناشيد. وها هو الفضاء يشيخُ فيما تزدادُ
الحربُ فتوةً. ما هذا الذي تُكنّهُ الأرضُ ويغارُ منه تاريخ السماء؟
الإنسانُ، هو نفسه، لاهوتٌ جنسيّ: غورٌ بلا قرارٍ وسرٌّ داخلَ
السّرِّ إنّه الغموضُ الأكثرُ إشراقاً من أيّ وضوح. إنّه الكائنُ
الوحيدُ الذي يتعلّمُ كيف يموت، كلّ يوم، لكي يُعرفَ كيف
يحيا كلّ لحظة، بين أغصانٍ تتقصفُ، وتيبسُ في أدغالِ
الوقتِ.

وقتٌ يبدو فيه أن للرأس، رقصاً خاصاً، يعلمُ الحقولُ نفسها
كيف تُجمَعُ الخراف، وتلقي عليها عظة الذبح. يخبز
الحجرَ باكيًا، فيما يضع رأسه على وسادة السماء.
وما تلك المخيلة؟ تُتيح لجيشها أن يقتحمَ الفضاء صارخاً:
بلى، يمكن أن يكون الإنسان، في اللحظة نفسها، سلخفاةً
وطائراً! يُمكنُ أن يشتري التاريخُ الدمعَ من الغبار، وأن يبيعَ
البكاءَ إلى الرّيح!

وقتٌ يتدحرجُ على منحدراتِ الظّنّ،
في جَعْبَتِهِ يدٌ من الذهب فوقها يرفرفُ جناحُ نملةٍ يتهاى لكي

يمسح برفقٍ جبينَ سليمان! فراشاتٌ تسهر على ديوجين وبرميله،
انتظاراً لقنديله: ترى ماذا سيحدثُ عندما يصل الضوء؟

دخلت العاشقةُ حديقةَ البيت حيثُ يُقيمُ حُبُّها. تحوَّلتِ
الأزهارُ كُلُّها إلى شباكٍ تُطوِّقُ خطواتها. ضحككت
وتساءلت: هل عليّ، إذا، أن أخيطَ لكلِّ زهرةٍ ثوباً جديداً؟

بعد هُنيهةٍ ستهبُّ ريحٌ يتضوُّعٌ فيها أريجُ الأساطير، بعد
هُنيهةٍ، يبدأ الوقتُ قراءةَ الوردِ، ويبدأ الهواءُ الكتابةَ.

ما الوقتُ الذي تبقي للأقفاص لكي تصرخ: احتاجُ إلى
التحرُّر، كمثلي الكائنات التي تقيمُ وراء قضبانني؟

إنها الحربُ! وحشٌ يلتهمُ الكون!
وما أكثرَ جمعيَّاتِ الرِّفقِ بهذا الحيوان! جمعيَّاتُ تقرأ الماءَ
بعين الرَّمَلِ، وتقتاتُ بالقَتْلِ.
وكلُّ جناحٍ هو، في عينيها، جناح!

إنها الحرب! يقول الجريح: لا أريد أن أرى. يقول القتيل:
لست من هؤلاء ولا هؤلاء! يقول التاريخ: من هم؟ وأين؟ ومن أين؟

النور هو المكان الذي تختاره الفراشة لموتها، والظلمة هي
المكان الذي تختاره السماء لموت الإنسان لمن توجه، إذا،
رسالتك أيها الضوء؟ وقل لنا، قبل كل شيء:
هل هذا الإنسان - الطين خلق حقاً على صورة الله؟

لا يزورني اليقين إلا نادراً، - في زيارة أخيرة، تاه في الطريق
وكاد أن يضيع: وصل مرهقاً تحمله عربة الشك، وأخذ
يتنفس، عفواً، هواء الأسئلة: ألن تقولي لنا أيتها الأجنحة
ما أسلحتك وأين تخبئينها؟ لماذا تصنع قبلة واحدة ألف
وردة في سرير امرأة؟
لماذا للبرغم شكل شديد البساطة لكنه يختزن مضموناً شديداً
التعقيد؟ ولماذا أنا هي دائماً لا أنا؟

ت / تاء

مَنْ تُرَى يَتَشَوَّقُ إِلَّا إِلَى آخِرِ شَبِيهِ بِهِ نَفْسِهِ:
أَحَدًا - لَا أَحَدًا؟
إِنهَا فِتْنَةُ الْأَبَدِ.

ما الرِّيحُ التي حملته، ومن أين يأتي؟
تلك حُرِّيَّةُ الطَّرَائِدِ - مَخْزُومَةٌ بِأَقْفَاصِهَا.

قَلَّقَ فِي الْعُرُوقِ وَاعْصَارُ تَيْهِ، -
جَسَدٌ لَا يُصَدِّقُ نَارًا سَمَاوِيَّةً
وَلَا جَنَّةً.

لَا سَمَاوَاتِهِ سَلَالِمٌ إِسْتَبْرَقِ
وَلَا أَرْضُهُ نَبِيَّةٌ
جَسَدٌ مِنْ تَرَابٍ وَعِطْرٍ
يَتَفَتَّحُ مُسْتَسْلِمًا لِأَقَالِيمِهِ الْخَفِيَّةِ.

إنها الأبدية، من شَغَفٍ، خَيْرَةٌ.

شَجَرُ السَّرْوِ فِي الْقَرْيَةِ الَّتِي جِئْتُ مِنْهَا
مِثْلَنَا مِثْلُ جَدَّاتِنَا وَأَجْدَادِنَا

مِثْلُ آبَائِنَا،

صَدِيقٌ لِلرَّيَّاحِ، أَخٌ لِلْحَجَرِ

يَتَسَاءَلُ، فِي زَهْوِهِ، وَفِي صَمْتِهِ:

أَهْنَالِكَ مَا يُرْتَجَى، أَهْنَالِكَ مَا يُنْتَظَرُ؟

خَطَوَاتُ بَقَايَا شَمْعٍ وَلَا كَوْكَبٍ،
ظُلُمَاتُ

كَيْفَ لَا تَتَعَثَّرُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَبِالْكِتَابِ، الْكَلِمَاتُ؟

لَا أَقُولُ سِوَى مَا تَقُولُ الطَّبِيعَةُ فِيَّ، فَيَا أَيُّهَا

السَّيِّدَ الشَّيْءُ، خُذْنِي إِلَيْكَ

بَعِيدًا عَمِيقًا

لَا لِعَرْشٍ يُقَاتِلُ عَرْشًا

أَوْ إِلَهٍ يَجُوبُ إِلَهًا.

وَقُلْ لِّخَلَايَايَ أَن تَتَوَغَّلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

هُوَذَا، أَتَوَحَّدُ مَعَ طَائِرٍ عَابِرٍ،
كُلَّ غَصْنٍ صَدِيقٍ،
وَكُلَّ يَدٍ وَرْدَةٍ.

غَضَبٌ يَتَجَيَّشُ فِي كَنَفِ الْأَبْجَدِيَّةِ
ضِدَّ مَا سُمِّيَ الْأَبَدِيَّةِ.

إِنَّهُ زَمَنُ الرَّفَقِ بِالْحَيِّ - مَيِّتًا، -
مَا أَقَلَّكَ، يَا أَيُّهَا الشَّعْرُ، مَا أَكْثَرَ الْقَصَائِدَ! مِنْ أَيْنَ
جِئْتَ؟ إِلَى أَيْنَ تَمْضِي؟

عَالَمٌ -
لَا غِنَاءَ، وَلَا حُبَّ، لَا رَسْمَ، لَا صُورَةَ وَلَا نَشْوَةَ.
عَالَمٌ، تَاجِرٌ أَوْ أَمِيرٌ
يَا لِبُؤْسِ الْحَيَاةِ: عَمَاءُ غَنِيِّ وَضَوْءُ فَقِيرٍ.

أرغنُ الكونِ ينشجُ، قيثارهُ جراحُ،
حسنٌ أن يقالَ الفراديسُ تُغلقُ أبوابها.

كسرَ الوقتِ عقربَ ساعاته.
ربّما يتهيأ كي يلعبَ النردَ مع شاعرٍ.

لا تسلني من أين جئتُ، وكيف يكون الدواءُ،
خميرةٌ داءٌ، -
إنّها الحُمّةُ الآن تخرجُ سكرانةً من لهاثِ الفضاءِ
حرّةً في حريرِ الهواءِ.

الرّمادُ احتفاءً بأنقاضه
الرّمادُ وفِيّ
لنبوءاته.

بجناحي غرابٍ
خاطت الرّيحُ، هذي العشيةُ، منديلها.

شجرُ الياسمين يُحيِّي
أصدقاءَ طفولاته،
ويؤكد ما قاله مرارًا:
لا أقاتل إلا بعطري، وها ألمحُ النجوم تُصفقُ، تزهو،
تُغني

وترقصُ غريانةً وها أنحني
لا لشيءٍ، سوى أن أصدق أنني ما زلت أقدر أن أنحني،
على زهرةٍ
أو على صخرةٍ.

عالمٌ: دُميَّة - مقصلةٌ
لا كلامٍ، ولا أسئلة.

لم نكن قبلُ نعرفُ أنَّ سُعالَ السَّماءِ،
دمٌ سائلٌ على كلِّ وجهٍ.

أثرى قطعت شفرةُ الحزن خيطَ الهواءِ
بين هذا الترابِ وهذا الفضاء؟

”كلّ أسفاري الآن شكل آخر لخلاصي من خيرتي“،
هل أقول، إذا، كي أطمئن نفسي:
”سفري نفسه حيرة“؟

باكرًا، كلّ يوم،
قبل أن تنهض الشمس، خذ وردةً
سمّها
غنّها، - قل لها:
أنت حربي وحبّي.

ليّ - ليل الحياة وليل الكلام قميصان،
والحبّ بينهما عُروة.

ما أقلّ الوجوه،
وما أكثر المرايا.

عنكبوت يقول لأنثاه: ”قالوا

واهن بيتنا، وأوهن من كل بيت.
لماذا، إذا،

لا نرى حولنا جداراً؟“

كيف أوقن، يا هذه الأبدية، أن القناع قناع،
ولم يك من قبل، وجهها؟

شجرٌ يتحدث عن حزنه،
وحده الغيم يُصغي إليه.

- كيف جئت؟ وما القرية التي جئت منها؟

- لم أعد أتذكر. طاحونة؟ نهرٌ دون ماء؟

قصبٌ نازلٌ مائلٌ

ومن أنت؟

من أين جئت؟ وماذا تريد؟

وما الفرق بيني وبينك، يا أيها السائل؟

قل لوجهك أن يتقنع، لكن
بأسرارِهِ،
وأساطيرِهِ.

ما الذي سوف يحدثُ، يا أيها الصَّمْتُ،
لو قلتُ كالطفل: كَلَّا،
لا أريدُ فِرَاقَكَ، يا بيتي الأول؟
أَيكونُ هناكُ جوابٌ؟

... -

هل أكرّرُ هذا السؤالَ على بشرٍ آخرين، على زمنٍ آخرٍ؟
... -

إنَّه الخوفُ يرفعُ بيتًا من الصَّمْتِ، يدعو إليه أحبَّاءُهُ -
يعيشون فيه.

يُصلُّونَ فيه، يموتونَ فيه، ويرثيهمُ

أحبَّاءُهم

وأعداؤهم:

كلَّهم شهداءُ هنا: هُدَاةٌ، بُنَاةٌ، حُمَاةٌ،
كلَّهم مجرمون هناك: طغَاةٌ، غَوَاةٌ، بُغَاةٌ.
آه، يا بيتي الأول،
من يقول لي، الآن، ماذا

أقول، وما أفعل؟

قُلْتُ، في ضوئكَ الآن، يا أيُّها الكوكبُ المتوهِّجُ
ما لم تَقُلْ سابقًا
وما ستفكر في غيره، لاحقًا.
ألهذا: رأيُكَ المتبدِّلُ أعمقُ مِنِّي كشفًا،
وأوسعُ علمًا؟
إذا، هل تقول لي، الآن: ماذا؟ ما الذي جاء بي إليك؟
ومن جاء بي؟
ولماذا؟

ما الذي يجعل المتوسطَ يلقي بأمواجه كُلِّها،
منذ يُوليس، في رثيِّ؟ وماذا
بين شطآنه والطيور التي هاجرت
من مدائن، لا شُرَفات لها
غير ترحالها؟
مَنْ يُسائل؟ هل مِنْ أَحَدٍ
غير ذلك القديم الصديق الأليف الزَبْدُ؟

لم تعد تسمع الجِرارُ نداءً ينابيعها.

لم أعد أذكر الطريقُ

بين وجهي وترحاله.

أهْيَ الشَّمْسُ تمنح ممحاتها لمن يعبرون وَيَسْتَشْرِفُونَ؟

هنا قدماي غبارٌ هنا ظلُّ زيتونةٍ سافرتُ

أتمدّدُ في جبرها، -

وماذا سأكتبُ؟ هل سأكرّر ما قاله الموجُ،

أو ما يقولُ الغريقُ؟

يا طيورَ المسافاتِ، والهجرةِ الأبديةِ - هذا نخيلُ

حياتي حزنٌ، وشوقٌ إليك -

ويشهقُ من غبطةٍ

حينما تعبرين،

ويرجوك: لا تغضبي -

حينما ينحني تحت عبئك غُضُنّ. وقولي:

هذه غيمةٌ - وهذي -

آهةُ الجامعِ المُتعبِ.

جسدي ضوءٌ يتقدّمني في كلّ طريقٍ موجٌ أثقلُ فيه

لا مرثيا يكتبني بلغات
أسأل نفسي دوماً
أنى؟ من أين؟ وكيف سأثقفها؟

ث / ثاء

هَلْ أَصْدَقَ مَا هَمْسَتْهُ مِرَارًا فِي الطَّرِيقِ إِلَى بَيْتِهَا،
خُطَوَاتِي:

”كُلَّ آثَارِي الَّتِي رَسَمْتُهَا جَرَّاحِي
عَلَى أَرْضِنَا،
لِي وَخُدي“،

وَلَا شَأْنَ لَكَ!
مَا أَحَبُّ أَوْ رِيدِيَسْ! مَا أَعَمَّقَ الْهَبُوطُ الصُّعُودَ،
الصُّعُودَ الْهَبُوطَ - إِلَيْهَا
عَلَى سُلْمِ الْفَلَكَ.

لَيْلَةٌ هَاجَرَتْ، -

رَفَضْتُ أَنْ تَقُولَ: وَدَاعًا،
لِكُوَابِيْسَهَا.

شاعرٌ؟ كيف لا يقرأ اللّانهاية في كلّ شيء؟

حكمتي أنني
ليس لي حكمة.

في الفراش، على الأرض، علّمتُ جسمي كيف يقرأ أسرارَ حبي
وتعلّمتُ منه
كيف أخيا بها.

غُصْنُ زيتونةٍ يتذكّر طيرًا، -
ضَعْ يديك على جذعِها، تذكّر
كيف كان الجناحُ يقصّ على الغُصنِ معراجَهُ إلى عُشِّهِ.

سكنَ الله يومًا، كما سكن الشعر والحبُّ، في الجسدِ - البدء:
لا رايةً، ولا عرشَ، لا سُلْطَةً، غير وجه الفضاء،
قلْتُ هذا مِرَازًا، أكرّر كي تسمَعَ السماء.

إنّها الياسمينه في أوّل الحديقه،
تَسْتَقِرُّ الآنَ وَجْهَ الصّباح،
وتهمسُ للشمس أن تتمهّل في سَيرِها.

قالت الشمس تشرّحُ ميثاقها:
”لا شروقي جوابٌ، وليس غروبي جواباً“
”والكلامُ الذي قلته وأقولُ دواءً،
وإن كان داءً“.

ويقول الذين تداووا به:
(”عندما تشرق الشمس، تصرّخ: كلاً،
لم أكن مرّةً جواباً“).

لا مكانَ له سوى صوته، -
صوتهُ لا مكانَ له.

هل رأيتَ إلى الشمسِ، يوماً
كيف تَسْتَنْفِرُ الظلَّ في نُورها؟
هل رأيتَ يديها

تُسْجَانِ لِكَلِّ شَرِيدٍ، مِنْ خِيوطِ شُعَاعَاتِهَا،
خَيْمَةٌ؟

فِي طُفُولَةِ أَيَّامِي الْمَدْرَسِيَّةِ، أَصْغَيْتُ لِلْأَبْجَدِيَّةِ تَعَزُّفُ أَيَّامِهَا
فِي الْحَقُولِ وَتَزْهُو بِقِيثَارِهَا وَبَاوْتَارِهِ -
شَجَرًا وَنَبَاتًا وَغَيْمًا.
لِطُفُولَةِ أَيَّامِي الْمَدْرَسِيَّةِ عَزَفْتُ عَلَى الصُّوْرِ، مِلْءَ الْمَكَانِ،
وَفِي لَا مَكَانٍ.

ج / جيم

يملأون الدروبَ غناءً -
يُغَنّونَ: غيبي
يا صخوراً يُسمّونها واقعا.

أتراني في أول المنحدر؟
الدقائق مثل الدروب، تجرّ الحياة إلى ربّها،
والدروب تجرّ البشر.

دُميّة أتخيّل أنّي فيها
أُغيّرُ جسمي. أُغيّرُ جسمك
أزعم أنّ الهويّة، يوماً: ربّة - عبدة،
ويوماً: عبدة - ربّة.

شهواتك أحوالٌ جسمي ورايائه.

عانقِ الوقتَ، واستنْفِرِ الرِّغباتِ:
كأنَّ تأخذُ الأرضَ من ثديها.

لغة النَّفْيِ وَضَلَّ:
لا اغترابٌ ولا ألفة.

أنت نفسك منفيٌ لِنَفْسِكَ،
واللحظاتُ رياحٌ.

”أنتَ بيتي“: تُوشوْشُني، أيُّها النَّفْيُ، -
عَمَّقْ، إذا وحدتي
بين جسمي وبينني.

كلُّ يومٍ، أحاولُ أن أتطهَّرَ مِنِّي - من فضالاتِ يومي،

أقول لنفسي: اغسلي ما تأخر مِنِّي،
تاريخه وفصوله.
كلما اقتربت خطواتي من الموت،
أزجني موتها للطفولة.

لا مكان، ولا وقت عندي
لكي أقتفي خطاك،
أي هذا الملاك.

هي حرّيتي - لم نعد نتحاور، قالت:
”سأعلنُ حربي عليك،
سأجتاحُ جسمكُ عُضُوا فَعُضُوا“.

- ما الذي يتبقى لنا،
في الطريق إلى موتنا،
غير هذا الذي نسميه حُبًا؟

أثر؟ خطواتي؟
أم تراه دم
لم يصر بعد حبراً؟

أتقدم - لكن
لماذا لا أرى راحة
ولم أر يوماً أنني مُتعب.
خطأ في؟ أم في التراب،
أي هذا السراب الكتاب؟

إنه الليل - يلقي عليّ عباءة أحلامي،
وتباريحها.
واثق أن الليل عزفاً
في سلالة حبي،
وأن له رأيه في حياتي. لكن
كيف أعرف شكل القرابة ما بيننا؟
أتراني أخ، أم تُراني نسيب،
أم تُراني ظل؟

كلّما شَعَّ ضَوْءٌ، يَجِيءُ - يَسَافِرُ فِي جَرِحِهِ، آخِرٌ.
أُتْرَاهَا الْكَوَاكِبُ وَالظُّلُمَاتُ سَوَاءٌ
فِي الصُّرَاعِ عَلَى الْمُلِكِ؟ -
يَا زَهْرَةَ الْمُسْتَحِيلِ
أَيْنَ تَمْضِينَ، هَلْ حَانَ وَقْتُ الرَّحِيلِ؟

ح / حاء

- أنت - مَنْ يعرف الوقت، قُلْ لِي
ما الفرقُ بين نهارٍ وآخر،
أو بين ليلٍ وليلٍ؟
- مَرَضِي فِي النَّهَارِ، بَصِيرٌ - قَلِيلًا
وَفِي اللَّيْلِ أَعْمَى - قَلِيلًا.

خُنْتُ نَفْسِي، لَمَّا
قُلْتُ لِلشَّمْسِ عَلَّمْتَنِي
كَيْفَ أَكْتُبُ نَفْسِي.
خُنْتُ نَفْسِي، لَمَّا
قُلْتُ لِلَّيْلِ عَلَّمْتَنِي
كَيْفَ أَقْرَأُ نَفْسِي.

مَرَضُ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ،

بَلْ فِي السَّمَاءِ:
إِنَّهَا حَكْمَةُ الْمُؤْمِيَاءِ.

تَوْلَدُ الْآنَ فِي كُلِّ صَوْتٍ
لُغَةٌ لَا حَقَّقَ لَهَا.

كَيْفَ تَسْطَعُ، وَالضُّوءُ فِيكَ
صَلَاةٌ إِلَى ظُلْمَةٍ؟

طَرَدَتْكَ السَّمَاءُ
أَيُّهَا الشَّعْرُ، فَافْتَحْ
دُرُوبَكَ مِنْ دُونَ قَيْدٍ، تَطَوُّخُ
فِي سَدِيمِ الْفَضَاءِ.

”لَسْتَ مَا أَنْتَ، أَوْ مَا عَمِلْتَ وَمَا تَعْمَلُ“،
هَكَذَا أَوَّلُوا، وَقَالُوا:
”أَنْتَ مَا عَمِلَ اللَّهُ، وَالْأَوَّلُونَ – السَّلَاطِينُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهُمْ،

وَمَنْ يَتَّبِعُ التَّابِعِينَ.
وَاحْمَدِ الشَّعَرَ: لَسْتُ مِنْ "الْآخَرِينَ"
وَلَسْتُ مِنْ "الْأَوَّلِينَ".

كيف؟ مِنْ أَيْنَ لِلْبَطْنِ وَالْقَحْفِ وَالسَّاقِ أَنْ
تَتَمَرَّدَ، أَوْ أَنْ تُعَمِّرَ بَيْتًا،
أَوْ يَكُونَ لَشَمْسٍ تَبَارِيحُهَا،
مِظْلَةٌ؟
خَلَلٌ فِي الْأُلُوْهَةِ، أَوْ فِي التَّوَامِيْسِ؟
أَمْ خَلَلٌ فِي الْجِبَلِ؟

إِنَّهُ الْعَالَمُ الْآنَ،
يَا أَيُّهَا الْبَهْلَوَانُ:
الزَّمَانُ مَكَانٌ
وَالْمَكَانُ الزَّمَانُ.

- مَنْ تَكُونُ؟ تُرَى أَنْتَ أَنْتَ؟
وَمِنْ ذَلِكَ الْآخَرُ الَّذِي فِيكَ؟

من أين جاء؟

– مَنْ أَسْأَلُ؟

رملَ النُّبُوتِ،
أم هذيانَ العُصورِ،
أم السيّدَ الببغاء؟

”لا تَجِئْ، قبلَ أن يأتِيَ الوقتَ“ قالوا. ووقتي لم يأتِ. لكنني
جئتُ.

كلّا – لا تَسَلْنِي: متى جئتُ، أو كيف؟ هذا
عالمٌ لم يعد فيه فَرْقٌ
بين ما يحضنُ الموجُ أو يلفظُ الشاطئُ
زبدٌ هاربٌ
يتقمّصُ أطيافه
زبدٌ لاجئٌ.

أيُّ هذا الشقاء على الأرض، يا أيُّها الشقاء
كيف يجهلُ أن يبدعَ الأرضَ من أبدعَ السّماء؟

خ / خاء

لا كَلَامُ الأَولَآءِ يَهْدِي،
ولا خُطَوَاتُ الأَوَائِلِ:
مَائِلٌ عَنقُ الشَّمْسِ مَائِلٌ.

ما تقول القبورُ التي لا يراها البُكَاءُ؟
من أسائلُ: هذا التُّرابُ الذي يتكَدَّسُ، أو يتبدَّدُ،
أم هذه السَّمَاءُ؟

الينابيعُ تهذي، -
تُرى لَوَثَّهَا جراحُ المكانِ؟
لا جوابٌ، ولا ترجمانٌ.

لا أَسْمِي زَمَانِي إِلَّا بِغَيْرِ اسْمِهِ،

آمِلًا أَنْ تَصِحَّ دُرُوبِي فِيهِ
وَأَنْ تَسْتَقِيمَ الطَّرِيقَ إِلَى فَلَوَاتِي.

لَا تَقُلْ مَا تَقُولُ الْقَوَافِلُ، أَوْ مَا يَرَى الرَّائِيهِ
قُلْ عَذَابُكَ -
مَا لَمَسْتُهُ يَدَاكَ، وَمَا عَايَنْتُ مَقْلَتَاكَ،
وَمَا نَقَشْتَهُ عَلَى صَخْرِهَا
وَعَلَى رَمْلِهَا،
لُغَةُ الْهَائِيَةِ.

كُلٌّ مِنْ قَالَ: "حَقَّقْتُ حُلْمِي" يَعْنِي
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ
وَالطَّرِيقُ إِلَى نَفْسِهِ مُبْهَمٌ.

مَنْ يَقُولُ: الزَّوَالُ انْفِصَالُ؟
قُلْ، إِذَا صَدَقَ الْأَبْدِيُّ: الزَّوَالُ اتِّصَالُ.

هُوَ؟ لَكِنَّهُ لَا يُصَفَّقُ إِلَّا

لِلْقِيُودِ الَّتِي وَعَدْتَهُ بِجَنَّاتِهَا.

كَيْفَ؟ مَاذَا؟ لِمَاذَا؟

أَكَاذُ أَضْيَعُ وَقْتِي فِي الْبَحْثِ عَنْ سِرِّهِ

سِرُّهُ أَنَّهُ قَاتِلٌ يَتَزَيَّا بِجَسْمِ قَتِيلٍ سَائِلًا رَبَّهُ:

كَيْفَ لَا يُمْنَحُ الْمَرْءُ نَصْرًا مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِذَا كَانَ قَتْلًا

لَا مَرِيٍّ آخِرٍ؟

د / دال

ما أقلّ، وما أفقرَ الذين يحبّون ألا يموتوا
سوى مرّةٍ واحدة!

تحتُ صُدغي، صُدْع.

أين خَبَاتٌ، يا أيّها الصّيدُ، ما كانت الفريسةُ تجترّهُ؟
وأين الفريسةُ؟ ما أكثرَ الشّواطئ - مخنوقةٌ
بأمواجها!

لِمَ لا ترغب الملائكُ أن تُصغي الآن، إلّا لصوتِ شياطينها؟

وضعت زهرةً رأسها على حجرٍ أسود، في حديقة أجدادها،

ونامت.

الربيعُ الذي لفظتهُ معاجمُ ترَّ حاله،
مرَّ في تدمرٍ، وفي بعلبك، توقَّف
عند الفُراتِ، بكى وتبرَّأ من نفسه،
ومضى هائماً على وجهه.

رسمَ الطُفلُ فيَّ طريقاً إلى الصالحية،
يبدأ من باب توما.
ورسمت، أنا الشيخ، في دفتر الحُلمِ شيئاً
غريباً نسيْتُ اسمه -
سأقول: اسمه قاسيون.

جارُّنا مؤمنٌ - يقول، ولكنه
لا يفكر إلا بشفرة إيمانه وأهوائها، -
كيف تُغرَّزُ في رأسِ طِفْلِ،
وكيف يُحزُّ بها، كلُّ يومٍ،
عنقُ كافرٍ.

بين وقتٍ وآخر، أشعر أنَّ النبوة دقت على باب بيتي، وها هي
تدخلُ: أصغي إليها طويلاً. ولكن لم تقل مرةً ما تشاء
أتراها نسيَتْ علمها أم تراها
تجهل الآن ماذا تريد السماء؟

ما يكون الغد؟
أَيكونُ طريقاً إلى غبطة،
أم يظلُّ كما كانَ إصطبلَ إنسٍ وجرٍّ؟
ولماذا، إذا، لا أقولُ: أنا المارقُ السيدُ؟

يصرخُ الكونُ، فيما يدور، ويقبض في كفِّه
على جَمرة السماء:
”لا يخونُ الحياةَ على الأرضِ إلّا
لهبُ الأنبياء“.

”اضعُ الآنَ رأسي
على كتفِ المستحيلِ“:
قالتِ الشمسُ، أمس. وكانت

تتجاوزُ مع دجلةِ والفراتِ،
وتقرأُ للماءِ ما يكتبُ النّخيلُ.

لُغَةً، - أتراها
لغةً في تباريح هذا الوجودِ وأسراره؟
أم تُراها سَفَرٌ شاردٌ في فضاءِ اللُّغَةِ؟
أتساءل عن كلّ شيءٍ سوى "هجرة الأدمغة"!

شُرُفاتُ الزّمانِ رياحُ
وفي كلّ أفقٍ دخانٌ.

فصلتني حياتي عن نذيتها، -
فِطامٌ لم أهَيَّا له.

في زمانِي هذا، في مكانِي هذا
ليس عَقْلِي عقلاً،
وليس لسانِي لساناً، -

هُمَا طَائِرَانِ، وَأَنْشُوطَتَانُ.
الْعُبُودَةُ عَرْشٌ وَتَاجٌ
وَالْمَدِينَةُ تَفَّاحَةٌ
رَبُّهَا،
وَابْنُهَا،
وَحَارِشُهَا،
أَفْعَوَانُ.

غَرَقَ الْمَاءُ فِي مَوْجِهِ،
غَرَقَ الْمَوْجُ فِي زَبَدٍ لَا يُرَى؟
كَيْفَ أَقْرَأَ هَذَا الظَّلَامُ؟
أَعْطِنِي فَمَكَ الْآنَ، يَا أَيُّهَا الضُّوءُ، كَيْ
أَتَهَجِّي الْكَلَامَ.

تَخَذْتُ لِي الشَّمْسَ أُمًّا وَالشَّرَى نَسَبًا
وَالْمُسْتَحِيلَ أَبًا، وَالْكَوْنَ مَنَقَلِبًا:
وُلِدْتُ كَالْمَاءِ صَفْوًا، كُلَّمَا عَصَفَتْ
رِيحُ الْمَرَارَاتِ فِي أُمُوجِهِ، عَذُبًا.

ذ / ذال

حياة - مُحِيطٌ والبسيطةُ إعصارُ، -
دمّ زَهْرٌ والكونُ يلبسُ عِطرَهُ
وجرْحُكَ إنبِيقٌ وقلبك عَطَّارُ.

سانتياغو دي كومبوستيلا / إسبانيا

٣-٥ نوفمبر ٢٠٢٢

- ١ -

لا أحبّ الجلوس على أيّ عَرْشٍ، -
(كلُّ عرشٍ إلهٌ
وكلُّ إلهٍ عبوديّةٌ).

- ٢ -

إنّه الوقت يعلو ويهبط في كلماتي
سبقْتني إلى فهمه وإلى الكشف عن سرّه
خطواتي.

- ٣ -

أَتَعَجَّبُ مِنِّي: لماذا
لم يكن ما أسمّيه وقتي حضورًا في حياتي، ولو مرّةً!
دائمًا كان غيبًا.
أَلِهَذَا لم يكن ماضيًا؟
أَلِهَذَا يوشوشني كلّ شيءٍ:
لكَ مستقبلٌ - رمادٌ؟

كيف لي أن أوشوشَ هذا الرَّمَادَ وأهمس في أُذنه ما أشاء
أيُّ هذا الفضاء!

- ٤ -

سألتُ عن جسمها جسمي، فقال له:
”ليست همومي من حبرٍ ولا ورقٍ
أَسْتَنْبْتُ الأرضَ وردًا كان ينقصُها
ولا أجادلُ في تيهي وفي طُرقي“.

- ٥ -

لا أريدُ كمالًا
لا أريد الحياة كأنِّي في حفرةٍ
أتحدّث مع نملةٍ
وأكرّر آخرَ ما قاله نبيٌّ.

- ٦ -

عجبًا! كيف يبيضُ رأسُ نبيٍّ
لا يزال رضيعًا.

- ٧ -

أتوقع أن تُبَعِّثَ الحياةُ، كما شاءتِ الطَّبيعةُ - في بدنها.

مثلما يتفجَّرُ نبعٌ

ويدور الفضاءُ

لا سماءَ ولا أنبياءَ!

- ٨ -

كتبته الحياةُ كما يشتهي أن يكون، لكي يعرف الموتُ من أين
يبدأ في محوه.

هكذا حضنته أساطيرهُ

لكي تُحسن الحياةُ قراءةَ آفاقه.

- ٩ -

شبحٌ طائفٌ يزور المدائن بيتًا فبيتًا ويفيض عليها بآلائه وآياته،

كيف يأتي، ومن أين يأتي؟

يتعثرُ حتَّى بالهواءِ ويجهلُ حتَّى اسمه.

- ١٠ -

عندما تقرأ الشمس ما قالت الأرض عنها، تتشاءب؛
توغل في ما يتخطى كل ما قيل، تُملي على الضوء
وآياتها. آلاءها

لا أشك: الألوهة تُصغي إليها،
وتعيد قراءة إملائها!

- ١١ -

القميص الذي لبسته لتستقبل العشي الذي هجرته،
لم يزل يتمزق بين يديها،
وما بين أهدابها.

- ١٢ -

هي ذي رغبتني:
كفن في الهواء
لا تراه السماء.

إنّها ساعةٌ لم تعد تعرفُ الأرضُ فيها كيف يُطفئُ أبناؤها
نورها، ولماذا؟
كان موزارُ تلك العشيّة يُلقي
ليلَ أحزانه
على كتفي وردةٍ.

ر/راء

أتأكّد، في حضنك الآن، أنّي ليلٌ
وأنتك شمسٌ،
وأنا
جسدٌ واحدٌ.

إنّه الحبّ كالشعر، خرقٌ.
حبّنا شعرُنا،
لغة في الذهاب إلى اللّانهاياتِ:
لا حُبّ إلّا إذا اضطربَ
الضوء في مقتلتيك،
ونمت مع الشّمس - ليلاً.

كنتُ، إن سافرتُ
أحدت عنها

كلّ زيتونة، وأرجو الصّدى
أن يكونَ رسولاً.

أنتَ حرّيتي - وأسلمتُ جسمي إليك،
لأعرف: هل لي قيدٌ؟

بين قلبي وحبّي خصامٌ، -
ما أقول لها الآن؟
قلبي لشعري وحبّي لها؟
أم أكرّر: قلبي لحبّي، وشعري لها؟

لن تُحبّ وجسمك مستعبداً
بتعاليم من كلّ ربّ.

كان ظنّي أنّ الحقيقة تُفاحة!
الحقيقة جُرْح!

جسدٌ - صورةُ الأرض، أبهى وأكملُ ما تعرف الطبيعةُ،
لكنّه للملائك والقادة المؤمنين وساداتهم،
وسماواتهم وجنّاتها، ليس إلّا رُكامًا من عظامٍ ولحمٍ
وثقبًا يَغوصون فيه.

كيف لا يجعلون من الكونِ وحشًا؟
كيف لا تصبح الحياة مَواتًا؟

ز/زاي

حُبِّي: الأرض - محروثة، ومعجونة
بينابيعها، وغاباتها.
كلُّ يَوْم لها صورة.

ما تكون الحياة إذا أصبحت عادة؟
جوهرُ الكونِ يَكْمُنُ في لَعِبِ خالقٍ.

مَرَّ وَفْتُ طَوِيلٍ، سَالِقَاكَ فِي الحُلُمِ،
قَلْتُ لِنَفْسِي -
وها هو نَوْمِي شَوْكَ.

في الطريق إليك، انتميتُ إلى وردةٍ
وتشّهيتُ أن أقرأ الليلَ فيها.

لا أحبَّ البكاءَ، وليست حياتي،
منذ الطفولة، إلا بُكاءً.

لا أكاد أصدق أنني سمعت الذبيح يُصلي لذباحه،
وأنني رأيت لساناً يتحدث من دون لفظ،
وأنّ عصا الله أفعى.

كيف يُصغي لقالٍ وقيل
مَنْ يَقُولُ لكلّ امرئ:
لا تُطالب بشيء سوى المستحيل.

السَّماءُ هي الآن كالأرض، جُرْح.

موسم الذاكرة:
جثثٌ وقبورٌ تُسافرُ في موكبٍ أبديٍّ
إلى الآخرة.

الفراشةُ قالت:

لي جناحان من زهرٍ أصطفيه
وأصدق أنّ الحياةَ تطيرُ كمثلي
بأجنحةٍ تصطفِيها.

كيف لا يلبس الضوءُ في موطن الخرافَةِ جلبابَه أسودًا،
ويُلقي حجابًا على وجهه؟

بَشَرٌ - صلواتُ،
وها بعضهم طعامٌ لبعضٍ.

س / سین

المدينة رَمَلٌ
من أنا كي أكون فضاءً لأهوائِها؟

لي أجنحةٌ،
لكن لستُ ملاكًا.

ما الأمرُ؟ لا لَغْوٌ، ولا هَمْسٌ
ما الأمرُ، يا أَيُّها الشَّمْسُ؟

مَا الْأُمُومَةُ مَحْمُولَةٌ عَلَى مَوْجَةٍ وَمَا الْمَهْبِلِيَّةُ؟
ثُقُبَتْ فَتْحَةٌ فُوهَةٌ مَنَقَذٌ وَالْعِجَانِيُّ غُضُو التَّنَاسُلِ
وَالشَّرْجُ رَفُو الْعِجَانِ الْمَحِيطُ الْهَبْوَطُ إِلَى
لَا قَرَارٍ رَوِيدًا تَمَهَّلْ أَيُّهَذَا اللَّحَاءُ انْخَرِقْ هَانِئًا

زَبَرَجْدُ لَحْمِكَ فِي أَوْجِ إِغْوَائِهِ تَرَفَّقْ دَرَجَ صَاعِدٍ
 هَابِطٍ مَهَاوٍ فَلَكَ الشَّرَّةُ انفجارٌ لِبِرَاكِينِ مَطْمُوسَةٍ بِأَحْزَانِهَا
 غِبْطَةٌ وَالْمَسَافَاتُ وَرَدُّ الْإِلَهِاتِ غَابِ جَوَارِ كُنُسٍ
 وَعَرَائِسُ مِنْ كُلِّ مَوْجٍ وَجِنٌّ وَمَا شَتَّ مِنْ هَذِهِ الْخَلَائِقِ
 بَلُورُ غَيْمٍ وَيَضْفُورُ مَنْ - مَنِيَّ شُهُودَ حَالِبٍ كَلِيَّةٍ
 وَمَثَانَةٌ فِي جَوَارِ عَنِ الْحَمَضِ عَمَّا يَتَبَلَّرُ عَجَلُ ظَمًا فِي
 الْمَشِيمَةِ فِي الْحَوْضِ فِي التَّهْدِ وَالْعَظَمِ فِي الْفَضْلِ وَالْوَضَلِ
 فِي سُلَمِ الظَّهْرِ فِي الْعُنُقِ فِي الْأَذْنَيْنِ وَمَهَوَاهُمَا رِغْشَةٌ
 فِي نَسِيجِ خَلَوِيٍّ وَفِي عَانَةِ غَابَةِ - أَقْرُنْ غَزَالٍ؟ أَيْلٍ؟
 لَعِبٌ سَاحِرٌ دَاعِرٌ عُمَرِيٍّ وَالتَّوَاسِيَّ ضَوْءٌ وَمَنَارَاتُ كَشْفِ
 دُهُونٍ تَتَسَلَّسَلُ مَجْبُولَةٌ بِرَيْقِ لُعَابِ أَرْخِ هَذِهِ الْوَسَادَةِ يَا ثَغْلَبَ
 الْكَتِفَيْنِ وَأَوْغِلْ، - تَذْبُذْبُ، وَكُنْ شَارِدًا هُوَذَا رَقْصُ جِنْسٍ
 لَا نِهَايَةَ هَذَا غَرَائِبِ أَحْوَالِهِ قَمَرٌ مُتَعَبٌ شَائِخٌ يَصِيرُ - يَظَلُّ
 هَلَالًا.

إِنَّهَا الْعَانَةُ النَّاتِيَةُ

- شَهَقَةٌ، فِتْنَةٌ

زَفْرَةٌ هَانِيَّةٌ.

هَكَذَا أَتَعَلَّمُ تَحْوِيلَ كُلِّ الْمَعَادِنِ فِي لَحْظَةٍ إِلَى غَابَةِ يَاسْمِينٍ مِنْ
 فَصَائِلَ لَمْ تُكْتَشَفْ تُسَمَّى كِيمِيَائِيَّ مَعْجُونَةً بِأَسْرَارِهَا
 بِإِكْسِيرِ أَحْوَالِهَا وَأَحْوَالِهَا سَرِيرٌ نَسْجُ أَحْشَائِنَا
 قَطْرَسُ الْمَوْجِ مِثَاقُهُ الْأَوَّلُ

والبقيّة لا تُعقَلُ.

لن أعود، - الطّريقُ إلى القرية التي جنّت منها
زمنٌ آخر، دَمَّ آخر.
لن أعود، - تقول الرّيح التي دثّرني،
وتلك التي حضّنتني.
لن أعود، - يُوشوشني كلّ شيءٍ:
”أنا هجرتي“.

لم يكُ الزّهر والعشب والماء، يومًا
طريقًا إلى جنّةٍ أو جحيم.
كان ذلك، منذ النشوء، وما زال، أنشودةٌ للتراب
أفلن تقرأ الكون، من أوّل، أيّ هذا الكتاب؟

كيف لي أن أنام إذا لم تكن حياتي،
سَهْرًا دائمًا؟

”أَعْطِنَا خَبْرَنَا“:

لا أَخَاطِبُ رَبًّا.

أَخَاطِبُ هَذَا الدَّمِ الْكُوكَبِيِّ الَّذِي يَتَحَدَّرُ مِنْ تِيهِنَا.

– ”لَنْ يَجِيئَكَ هَذَا الْمَسَاءُ،

مَا تَوَقَّعْتَهُ“.

– دَائِمًا أَتَوَقَّعُ مَا لَا يَجِيءُ وَمَا لَا أَشَاءُ، –

هَكَذَا أَتَعَلَّمُ أَنَّ الْفَضَاءَ السُّؤَالُ،

وَأَنَّ السُّؤَالَ الْفَضَاءُ.

ش / شين

- هل تجرأت، يومًا، وسألت شعرك:
من أين جئت؟ لماذا، لا أرى فيك حبًا؟
- هل تجرأت، يومًا، وقلت لحبك: من أين جئت؟
لماذا، لا أرى فيك شعرا؟

أينما ذهب الموت، يَبْقَى في الحياة - كما عَلَّمَتْهُ:
لا مكان له غير أحضانها.

قل لي: ماذا يَغْنِي "المعنى"؟
وغدا سأسأل نفسي: ما مَعْنَى "يَغْنِي"؟

كُلَّ شَيْءٍ مجازًا، ولكن لَكِنِّي نُحَسِّنُ الوَضْلَ،
بين دَمِ عاشقٍ، ودَمِ فاسِقٍ.

أحياناً، تبدو لغة الحرية فخاً.

السَّماءُ كما شاءَها أهلُها:
الطَّرِيقُ إليها شِراءُ نفوسٍ،
والوُصُولُ جحيماً.

جَسَدِي يَتَسَاءَلُ: كيف لَتلك التي سُمِّيَتْ "روحهُ"
أن تكون نقيضاً وسجناً لأحلامه وأهوائها؟
هي فاجعةٌ مَهْزَلَةٌ
تارةً تَتَصَحَّرُ، باسمِ السَّماءِ، لكي تَتَشَرَّبَ أَعْضَاءُهُ
جُرْعَةً جُرْعَةً. وَطَوْرًا، تَتَأَلَّهُ - كي تَقْتَلَهُ.

هِيَ زَيْتُونَةٌ
أَتَفَقَّدُ أَغْصَانَهَا، جَذْعَهَا،
رَحِمَ الزَّيْتِ، آلاءَهُ وقناديله.
بِاسْمِهَا، سَأَسْأَلُ هذا الزَّمَانَ: لماذا
لا يَقودُ الحَيَاةَ على هذه الأرضِ إلا
كارَةُ للحياةِ وأبنائها؟

وَأَسْأَلُ نَفْسِي:
كَيْفَ أَقْنَعُ هَذَا الصَّدِيقَ الْفَضَاءَ
أَنْ أَكُونَ كَزَيْتُونَةٍ
قَارِئًا عَاشِقًا لِلسَّمَاءِ وَأَفْلَاكِهَا،
أَخًا لِلهَوَاءِ؟

هَذَا، مِنْ زَمَانٍ، يَقُولُ الْمُدْنَسُ فِي حَيْرَةٍ:
لِمَاذَا،
لَا يَعِيشُ الْمُقَدَّسُ إِلَّا أَسِيرًا
مُسْلِمًا نَفْسَهُ إِلَى دُمِيَّةٍ،
أَسْلَمَتْ نَفْسَهَا إِلَى دُمِيَّةٍ؟
وَلِمَاذَا لَا تَرِيدُ الْأُلُوهَةُ أَنْ يُقْرَأَ الْكَوْنُ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ - نَبِيِّ؟

النَّوَافِدُ - مَنْسُوجَةٌ بِأَحْلَامِهَا
تَفِيءُ إِلَى نَوْمِهَا، -
مِثْلَهَا، سَأَنَامُ وَفِي كُلِّ خَبِطٍ
مِنْ وَسَادَتِي الْحَالِمَةِ
وَرَدَّةٌ نَائِمَةٌ.

الموتُ يُحرّرُ؟ كَلَّا!

لا ينقذنا

إلا ما نُبدِعه.

ليس لي حكمةٌ لغيري، -

حكمتي لي، وَاخُدي:

لا غُلُوْ

لمن لا جذورٌ لَهُ.

خذ يدَ الشمس، يا أيها الحقل - واكْتُبْ

رسالة حُبٍّ إلى غِيمِها، قل لَهُ:

لي بلادٌ لم تَزَلْ بُرْعَمًا.

أندحرجُ في سَفْحِ هذا الزَّمانِ

والخرابُ المَدَى والمكان.

كُن مَتَاهَا لهذا المَتَاءِ، -

أَكْمِلِ الشَّوْطَ، يَا أَيُّهَا الْإِلَهَ!

أُتْرَانَا، ذَاتَ يَوْمٍ، سَنُصْغِي
لِلسَّمَاءِ. تَقُولُ بِحَرِيَّةٍ:
”أَتَبَرَّأُ مِنْ كُلِّ مَا قِيلَ بِاسْمِي“.

”سَمَّنِي ظِلْمَةً أَقْلًا“،
يُوشِوشُنِي الضُّوءُ، دَوْمًا.

الذَّنَابُ تَجَرَّ الصُّبَاخَ إِلَى لَيْلٍ غَابَاتِهَا.

أَصْحِيحُ، لَا تُقَالُ الْحَقِيقَةُ، لَكِنَّهَا تُذَاقُ: الْكَلَامُ حِجَابٌ
عَلَيْهَا؟
إِذَا،

كَيْفَ لَا يُطْرَحُ السُّؤَالُ:
أَهْنَاكَ شُعَاعٌ لِمَا لَا يُقَالُ؟

لم يك الثلج، يوماً، أسوداً مثلما أشهد الآن:
هل غيّر الغيم تقليدَهُ وتاريخه؟

أخذ الموتُ يعشق أبناء هذي الحياة التي أنجبته
وها هو يُولِّم أحشاءهُ لأحبائه -
كلَّ يوم، على كلِّ دَرْبٍ،
وفي كلِّ بيتٍ.

قال: ياليتني جُنَاحُ جَنَاحٍ، ولي كلَّ غَضَنِ سَرِيرٍ،
ولا شَكَلَ لي غيرَ ما ترسمُ الطَّبيعةُ مِن
دُونِ أُنَى وَأَيْنِ،
ومن دُونِ كَيْفٍ.

قال: لا شيء يَفْنَى وأسلافنا في سماواتهم
”وفي شُغْلٍ فاكهون“ / -
آه، ما أعقلُ الجنونَ.

”الجماهيرُ“! غَنُوا - يُغْنُونَ أذْنِي لَفْظَةٍ فِي السِّيَاسَةِ
وَالْحُكْمِ وَالْفِكْرِ: تُولَدُ فِي صَرْخَةٍ،
وَتَجِيءُ وَتَذْهَبُ فِي حُفْرَةٍ،
وَتَمُوتُ وَتَحْيَا
كَمَنْ يَتَحَرَّكُ فِي جَوْفِ حَوْتٍ،
وَفِي عَبَثٍ - صَخْرَةٍ.

”مُخْطِئٌ دَائِمًا أَنْتَ“: قَالُوا - يَقُولُونَ. لَكِنْ يَوْشُوشُنِي الضُّوءُ
أَنْتِي

سَامُوثُ كَمَا لَمْ يَمِتْ شَاعِرٌ ثَائِرٌ عَاشِقٌ.

أَيْنَ قَنَدِيلُكَ الْآنَ؟ مَاذَا
كُنْتَ تَعْبُرُ،
أَمْ كُنْتَ تَعْتَبِرُ؟
أَهِيَ الظُّلُمَاتُ اطمَأْنَنْتِ؟
أَهْوِ الضُّوءُ يَنْتَحِرُ؟

إنه الحبُّ يَكْبُو، يَنْنُ، يَجْوُعُ، وَيَبْحَثُ عن ملجأٍ.

صَحَبْتُ فِي مَجَرَّاتِ شَعْرِي.

ص / صاد

الألوهة في كل جسم وفي كل شيء،
حُكاك.

أتساءل: مَنْ يكتب الآن في؟ أنا؟ أم سواي؟ أنا -
من أنا؟ ومن أين يأتي سواي؟ لماذا السؤال ولا أحد
سيصدق أي جواب؟
الجواب كما هو، منذ البدايات، قول
لا لتصديقه، ولكن
لنضيف إلى صخرة الراويه
صخرة ثانية.

قل لمن قال: أوقن:
عينك رمل.

لا أتحدّثُ مع زهرةٍ
هربًا من ذبولٍ أو حنينًا إلى ضائعٍ
أو لكي أتخيّلَ أنّي أهذي وأبكي.
أتحدّثُ مع زهرةٍ
لكي أتيقنَ أنّي أتحدّثُ عنكِ.

كيف، أو أين - أبحثُ عن تُرجمانٍ
يُترجم نفسي لنفسي؟

عجبًا! يكره الشعرَ مَنْ قِيلَ عنه: خالقُ الكون! لكن،
ما يكونُ، وما الأبديةُ إن لم يكُ الشعرُ أرضًا لها وسما؟

يتبارى مع المستحيلِ، ويُدعُ - لكنّه
في البلادِ التي يتحدّرُ منها
لا يُصدّقُ إلّا حين يكذبُ، أو يهربُ
فافهموه، إذا فرّ من نفسه ومن أرضه، ولا تعجبوا.

عندما تتيبُ زيتونهُ، سأقول انتهى عمرها،
وأقول: ستولدُ من أولٍ في الجذور التي تركتها،
وأكرّر أنّ الشجرَ
صورٌ للبشر.

زمنٌ عالمٌ يجلسُ القرفصاءُ
في مهبّ رياح
لا تُطيعُ الفضاء.

حضنتني فراشة حبي،
رمتني في نارها،
ونامت.

ض / ضاد

كيف نصعد من أولٍ؟ (هل سنصعدُ من أولٍ؟)
الجماعاتُ: أسرابُ أسرى لأسلافِها ولِسِيّافِها.
ليس بيني وبين الجماعة إلا الشُّقّاقُ وإلا الفراقُ -
أعانقُ مَنْ كان فردًا لا بلادَ له
غير أحشائه وأهوائه.

ها هو القفرُ ينصبُ لي خيمةً!
ولماذا -
خَطِرٌ ومريبٌ أن تمدَّ يدك إلى وردةٍ؟

ها هنا - حيث نقرأ ما لا نشاء، ونكتبُ ما لا نشاء ونفعل
ما لا نشاء

آن أن تُسكَبَ النبواتُ في جَرّةٍ للبكاءِ
حيث يُسفَعُ ما يتخمرُ فيها

من على كتفي شاعرٍ يُغني:
ستظلّ الطبيعة مرسومةً
بيدِ حُرّةٍ، وأنشودةِ حُرّةٍ.
ستظلّ النجومُ تحبّ النساء.

وأحبّ التنبؤ لكتني لا أريد
شغفي أن أظلّ البعيدَ البعيدَ البعيد.

سأحرّر حرّيتي من لعلٍّ ومن رُبما من تَرِثُ
ومن لا تُغامِر من بكاء النهار إذا اضطجع الليلُ
في بركةٍ ماؤها دمعهُ.

سأحاولُ أن أضع الرّيحَ يوماً تحت إبطي مثلَ كتابٍ،
وأقسّمَ جسمي في طرقِ الشعر والحبِّ لن
أتساءلُ هل سيكونُ مسيري لقاءً أم
يكونُ إلى لا لقاء!

وجعُ الحبِّ عضوٌ وجعُ الشعرِ كونٌ سفرٌ أَسْتَضِيءُ
بِمَهْوَى جراحِي فِيهِ سفرٌ جامعٌ والتَّباريحُ
فِيهِ كمثلُ اللِّدَائِدِ، بَرْقُ!

إنها أرضنا أعاصيرُ غَزَوٍ سديمٌ صلاةٌ رجاءٌ ولا سامعٌ
ولا خُبْرَ ناسٍ كلَّهم قاتلٌ قَتِيلٌ والنبوات
فيهم حروبٌ
كلَّهم عنقٌ مَوْثِقٌ - لا تَسَلْ: ما السَّبَبُ؟
ابتكر ما يحزن، ويبيكي وَيُؤَنِّثُ وَجَهَ التَّعَبِ.

أترى الخلقُ خنقٌ؟
أكرّرُ أنَّ المحيطَ رفيقي وسأطرح هذا السُّؤالَ عليه.

أجلس الآن في غرفة التَّوَمِ عِطْرٌ غِطَاءٌ
ولونُ الوسائدِ زَهْرٌ وأعرفُ أنَّ
السَّماءَ ستأكلُ ما تطبخ الأرضُ: لَغْوٌ
أن يُقالَ النُّجُومُ تسيرُ بلا قَدَمينِ وليست
لها حكمةٌ أين تمضي، إذا؟

مَنْ أَكُونُ، إِذَا احْتَدَمَ الْكَرُّ وَالْفَرُّ،
وَاسْتَشْرَسَ الزَّحَامُ
غَيْرَ هَذَا السُّؤَالِ - الْكَلَامُ؟

كَانَ ظَنِّي أَنَّ الزَّمَانَ يَقُودُ خُطَايَ
إِلَى فَهْمِهِ، -
تَغَيَّرَ ظَنِّي.
الزَّمَانُ يَقُودُ خُطَايَ إِلَى جَهْلِهِ.

”يُفْسِدُ الْمَوْتُ فَنَ الْحَيَاةَ“ يُقَالُ. إِذَا، كَيْفَ لَا تُفْسِدُ الْحَيَاةُ
الطَّرِيقَ إِلَى الْمَوْتِ؟ يَسْأَلُ نَائِي - يُوَحِّدُ بَيْنَ الطَّبِيعَةِ وَالْغَيْبِ
فِي وَتَرٍ وَاحِدٍ.

تَعَبَ الْكَوْنُ مِنْ أَهْلِهِ،
وَهَا هُوَ فِي عُزْلَةٍ
وَيَحَارُّ إِلَى أَيْنَ يَمْضِي.

ألهذا،

لا تريد الطّبيعة أن أتحدّث عنها -

أن أقول الطّبيعة أمّ

والقصائد أطفالها.

ط / طاء

بين نفسي وجسمي سور
أتهجّاه، أوغل فيه، كلّ يوم،
وأشهد: سور منيع.

إنها وحدتي
أخذتني إلى صمتها - عاليًا.

مالت الشمس بين يدي غيمة
لتكتب أحزانها.

نمت في جوف تفاحة
لأرى صورة لحواء... شعر
أن تُصير كلّ مكان فراغًا

وتَرى فيه ما لا يُرى.

لستُ هذا الكتابَ ولا ذلك الكتابَ.

شَغَفي أن أكونَ

الرَّفيقَ الصَّدِيقَ

لهذا السَّحابِ الترابِ.

قل لِمِراتِكَ اطمِئني:

التَّجاعيد ترسم أوجاعها.

لا تزال الرِّماح السيوفُ الرؤوس المقطَّعة،

القاتلون، قناديلَ تاريخنا،

لا تزال الملائكُ حُرَّاسَها.

لم أقل مرَّةً لِظِلِّي إلَّا: تمرَّد.

عندما تشرق الشمس، تصرخ: كَلَّا،
لم أكن مرّةً جوابًا.

هوذا أتَهَجِّي الغيوم:
أقرأ الليلَ فيها،
وأقرأ ما تكتبُ النجوم.

لا يدُ فوق رأسي، ولا رايةً.

في الطُّفولةِ أصغيتُ للنَّبعِ يعزِفُ: قيثارُهُ
وَرَقَّ ونباتٌ، حصيٌّ، ضِفَّتَانُ
تفتحانِ الدُّروبَ إلى لا مكانٍ.

لا أزالُ أسائلُ نفسي: لماذا
لم يَقُلْ لي جرحي من أين جاء؟
وما دَيْتُهُ عليّ؟
من أسائلُ: خلاقه؟

أَمْ أَسْأَلُ هِيَ بَنَ بَيِّ؟

لَنْ أُحَارِبَ إِلَّا بَتِيهَي -
فِي الْخُطُواتِ وَفِي الرِّغباتِ وَفِي الْكَلِماتِ.

مَا نُسَمِّيهِ فِي مُعْجَمِ الْحَيَاةِ جَوَابًا،
لَيْسَ فِي مُعْجَمِ الشُّعْرِ إِلَّا سَوْأَلًا.

رَبَّةُ الْعَمَلِ الْمُتَواصِلِ شَمْسٌ
بِلا ذِكْرِياتِ.

أُتْرَاها الطَّبِيعَةُ صارتْ كمثلِ الثَّقافَةِ، جُرْحٌ لا شِفَاءَ لَهُ.
عَجَبًا! مَنْ يُصدِّقُ؟

دَمْعِي وَجَمْرِي - مائي وَناري،
فِي دَوْرَقٍ واحِدٍ!

وَرَدَةٌ قُطِفَتْ فِي الصَّبَاحِ، شَكَتْ حَالَهَا:
لَمْ أَنْمَ جَيِّدًا.

يَتَحَدَّثُ شُبَّاكِي الْآنَ مَعَ طَائِرٍ مُتْعَبٍ.

مُوسِيقَى:

الْأُلْحَانُ رِيَاخٌ،
وَالْكَلِمَاتُ غُصُونٌ.

كَلِمَاتٌ تَرَفُضُ أَنْ تَكْتُبَنِي
إِلَّا بِالْأَرْضِ:
مَا أَعْمَقُهَا، مَا أَكْرَمُهَا،
مَا أَنْهَى هَذَا الرَّفْضُ.

شَجَرُ الْجَوْزِ فِي سُرَّةِ الْحَدِيقَةِ،
يَهْمِسُ لِلشَّمْسِ أَنْ تَتَمَهَّلَ فِي سَيْرِهَا.

خطاي غالبًا
فتنة بين رأسي وقلبي!

ظ / ظاء

وحدك الآن، أنت المَطَوَّق من كل صوبٍ.
وحدك الآن، أنت المَبْعَثُ في كل صوبٍ.

كل يومٍ، أموتُ هنالك في شهقاتي،
وأولدُ في خُطواتي، هنا.

إنه الليلُ - لكن،
لن أسدَّ طريقًا له،
لن أسدَّ طريقًا إليه.
ولن أتغطَّى به.

درسيّ المُقبلُ -
أن يقولَ لي الشَّعرُ والحبُّ،

من أين يبدأ تاريخي الأول.

إنه الشعر مثل
التراب: اغتراب لقاء
ولقاء اغتراب.

رغبتني مرّة، غالبًا:
كبدّ تتملّمل في جوف صخر.

مُت كائنك طفل
ولو مُت شيخًا.

لا تقل: إنني آخر
قبل أن تتساءل: من أين جاء إليك،
ومن أين جئت إليه، -
بين أحشائك الآن أكثر من راحل
وأكثر من مُقبل.

قل: حياتي سؤالٌ وعِش ما تقولُ
كي تَظَلَّ صديقًا قريبًا
إلى وَزْدَةِ الأفولِ.

رَفَضْتُ خَيْمَةَ المَلَائِكِ أنْ أَتَخَبَّأَ فيها
من شياطينها.

هل سار جُحْمُ نفسي؟
كيف، من أين لي أن أقول أمامَ المَلَأُ:
الألوهةُ أمَّ الخَطَأُ؟

لِي رَأْسٌ خَفِيٌّ يُجَنُّ
لأزْدَادَ عقلاً:

هكذا،
أَتَكَلِّمُ حينًا لأشهدَ كيف تكون الحقيقةُ
صَمْتًا.

النوافذ، هذا المساء، غيومٌ، -
إنه الليل يدخلُ في آبنوسِ تقاليدِهِ.

والفواتح في سُرِّ الحب تعرف سِرَّ الصعود إليها
بِسِرِّ الهبوطِ إلى لاقرارٍ.

هكذا لا تُضاء الطريق إليك،
إذا لم يكُ الضياءُ انتهاكًا.

تجدد فيك الجهات التي
أُتجددُ فيها.

هل رأيتِ إلى الشمس يومًا
كيف تبتكر الظلَّ في ضوئها؟

طائرٌ يحمل الفضاء إلى عُشه.

دائمًا في طريقي
تُرافقني خطواتُ
لا أراها - تعلّمني كيف أوغل في وحدتي.

أخذَ البحرُ جُرْحِي
لكي يَتموَّجَ فيه.

لم أكنْ مُخطئًا،
حين أصغيتُ للنملِ يقرأُ أشعارَهُ
على هُدُهدٍ.

عندما تنحني لتقبَّلَ وجهَ الترابِ،
احتفاءً بطينِكَ،
تستفسرُ الأرضُ: ما اسمُكَ،
من أينَ تأتي؟

لم أعُدْ أتذكّرُ أنّي كتبتُ إلى الرّيحِ:
”كرّرتِ نفسَكَ منذُ ابتدأتِ،
وما زلتِ في أوّلِ العمرِ، -
ما الرّيشةُ التي تكتبين بها خُطواتِكَ؟
ما الحبرُ؟
كيف أكرّرُ مثلكِ نفسي،

وَأَبْقَى جَدِيدًا؟“

لا عَصِيٍّ وَلَا أَمْرَدٌ - لَكِنْ أَفْكُرُ:
لا شيء، لا شيء، لا شيء حتّى
”يَدُ الشَّمْسِ مَغْلُولَةٌ“.

فِي الْحَجَرِ - الرَّاجِمُ وَالْمَرْجُومُ سَوَاءٌ:
لا عِرْقٌ يَصْرُخُ أَوْ يَهْذِي لَا لَوْنُ
فِي الْقَبْرِ - الرَّاجِمُ رَبٌّ
وَالْمَرْجُومُ الْكَوْنُ.
كَيْفَ أَنَامُ وَحَوْلِي مَوْتَى
أَيْقَازُ كُلُّهُمْ؟

لَا أَفْهَمُ إِلَّا مَا كَانَ عَصِيًّا، - كَالْحَيَرَةِ: حِينًا مَهْوًى، حِينًا ذُرْوَاتٍ.

ع/عين

ظلمات - بروق:
الطبيعة أمارّة، وفم الرعد يُملّي.
هوذا موسم اللقاخ:
السّلام على الأرض، تُولِم أشجارها وأقاليمها للرياح.

هي ذي بُحّة الأزمنة
أخذت تكتب الخفيّ البعيد وتُعطي
شفتيها إلى لغة الأمكنة.

دائمًا، تنزلُ النبوءاتُ من شفتي عاشق.
دائمًا أترحلُ في لُجّة - سؤال:
لا مكوث طویل هَداني إلى من أكون، ولم يَهْدني
سَفَرٌ يتواصلُ، - ماذا؟
أتراه المكانُ وإن كان شِعْرًا،

طريقٌ إلى لا مكانٍ؟

المَزاميرُ في هذه اللَّحظاتِ المريضةِ
في غابةِ الفَجْرِ، مكسورةٌ.

هكذا، كلُّ يَوْمٍ، تقولُ لنا نجمةٌ:
أرجأ الضَّوءَ مِيعادَهُ.

كيف لا تُرَسِّمُ الأزمنةَ
بالهباءِ الذي يتطايرُ من جسدِ الأمكنةِ؟

إنها الشَّمْسُ تبدو لي الآنَ، في حزنِها،
جسداً آخرَ لليلي.

أتراهُ حُبِّي موتي؟

هَلْ أَصْدَقُ أَنَّ يَدًا تَقْرَعُ الْبَابَ لَيْسَتْ سِوَى غَيْمَةٍ
فِي ثِيَابِ امْرَأَةٍ،
غَيْمَةٌ تَرْسُمُ الْفَضَاءَ وَتَجْلُو مَسَافَاتِهِ وَمَدَارَاتِهَا،
وَتُنَوِّرُ أَعْمَاقَهُ الْمُطْفَأَةَ.

الرَّيَّاحُ تَجْرُ الشَّوَارِعَ. حُبٌّ
يُشْرِدُ الْآنَ، لَا بَيْتَ،
لَا وَمَأْةَ.
وَالْمَدِينَةُ جَبَّانَةٌ.

إِلَهَ، وَكَيْفَ، إِذَا،
يَتَعَالَى
بِالْجَحِيمِ وَآلَانِهَا؟

قَلَقٌ يَغَيِّرُ صَوْتَهُ - مَا أَبْلَغَهُ:
مَدُّ مِنَ الْمَوْجِ الْكَرِيمِ يَهَيِّمُ فِي جَسَدِ اللُّغَةِ.

أَتْنَأَى، أَغِيبُ، طَيُورُ
مَزَجْتَنِي بِأَعْشَاشِهَا، وَطَارَتْ.
إِنَّهُ الْوَقْتُ: لَا عَاشِقُ، لَا كَلِيمُ
غَيْرَ هَذَا الْفَضَاءِ الْجَحِيمِ النَّعِيمِ.

وَخَشَهُ عَرْشُهُ:
لَا يَرِيدُ قِتَالًا إِذَا لَمْ يَكُنْ
بَيْنَ طِفْلٍ وَطِفْلٍ.

قَالَ: "مَا أَضِيقَ الْمَسَافَةُ
بَيْنَ مَا سُمِّيَ الْحَيَاةَ وَمَا سُمِّيَ الْخِرَافَةَ".

غَدَّ مَهْمَةً، كَوْنٌ، دَمٌ يَتَرَهَّلُ:
تُرَاهَا مِفَاتِيحُ الْفَضَاءِ مَرِيضَةً
تَمُوتُ وَأَبْوَابُ الْأُلُوهَةِ تُثْقَلُ؟

غ / غين

هَما هُما: جاءتِ البُومةُ النبويَّةُ، جاءَ الملاكُ الذي لا ملائكةَ سِواه،
وجاءت تهاويلُهُ وهالاتُهُ، وجاءت طيورُ أبابيل،
قالت كلُّها بلسانٍ مُبين:
هذه لحظةُ الحقيقةِ.
انْهَضِ الآنَ، يا أيُّها الكونُ واقْرَأْ بصوتٍ مُبينِ
كتابَ الخلقِ.

أَلْحَقِيقَةُ (أَمْسِ اعْتَرَفْتُ وَأَسْتَأْنِفُ الآنَ)، تلكَ التي عَشْتُها، كأني
سِيزيفُ: منذُ وُلِدْتُ، وُلِدْتُ لِأَتَقَنَّ تَعْلِيمَها وتُورِثُها، فَعاشَتْ
تَطْنُ على كَتِفِي، وسالَتْ دَمًا ووباءً على جَسَدِ الوَقْتِ، تلكَ
الحَقِيقَةُ كانت

فضاءَ عَماءَ.
لغةً تَتَناسَلُ في رَأْسِ غُولِ
وكلامًا مَرِيضًا.

شاعِرٌ تتنافسُ في وَصفِ أيامِهِ
مجازاتها ومجازاته.

إن رأيتَ طريقًا بلا رايةٍ
فتلكَ طريقِي.

سوف أُمْنَحُ ما يَبْقَى فيَّ من صَبَواتٍ
إلى نخلةٍ.

مَوْتُ لا نَعْرِفُ من أين يَجيءُ،
ولكن قال الصَّوتُ:
لِمَ لا يَتَقَدَّمُ
هذا العالَمُ إلا
نحو الموت؟

قالت الغيمة: لن أُمْطِرَ هذا اليوم،
لكن، أُمْطِرت.

عَالَمٌ - نَهَرٌ وَاحِدٌ،
والخرابُ ضِفَافٌ لَهُ.

السَّمَاءُ - لكِي تَتَأَخَى مع مَجَرَّاتِهَا وَأَفلاكِهَا،
وتَحَاوَرَ أَسْرَارَهَا،
لا لكِي تَتَحَوَّلَ فِيهَا إِلَى كَاهِنٍ أَوْ نَبِيٍّ.

كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْحَنِي فِضَاءٌ لِسَمَاءٍ تَقُولُ: "الصَّلَاةُ
ثَمَنٌ لِلْحَيَاةِ"؟

أَضْغَ - لَا تُصْغِ إِلَّا إِلَى تِيهَكَ الطُّفْلِ، يَلْهُو، -
وَأَنَا لَا أَبْشُرُ، لَكِنِّي أَحَاوِلُ أَنْ أَتَقَمَّصَ لَيْلِي، لِأُحْسِنَ تِيهِي،
وَأَعْرِفَ كَيْفَ أَعَانِقُ أَغْوَارَهُ.

كُلُّ شَيْءٍ يُؤَكِّدُ مَا قَالَهُ الشَّعْرُ مِنْ قَبْلُ،
حَزْبًا وَسَلْمًا.

عاشق؟ جسمه
لم يعد يتشهى سوى جسمه.

جسد - موجه
يتحرك في حفنة من تراب.

جسدانا زمانا والمكان
كل عضو فينا بلاد وتاريخ،
وكل اختلاجة مهرجان.

أتغنى بضعفني الجبار
مثقلاً بالجراح والتيه، محزوماً بناري،
مستسلماً لشراري.

للبياء مرأيا
تدلى تحت أهدابنا
مثلما صقلتها تقاليدنا -

مرايا تتكسّر بين خُطانا.

”مَطَرٌ يتساقطُ لا ماءً فيه“، تقول الحقولُ تُرى
هل سيأتي زمانٌ تتنكر فيه الثمارُ لأشجارها؟
ثُراني ثُرانا كلامٌ
لا يقول سوى نفسه؟

ومتى تنتهي
أنت يا مُعجَم المِثاءِ
بين ما تكتب الطبيعةُ فينا
وما يقرأ الإله؟

رَحَلَ العاشقونَ إلى حيث لا يعرفونَ الدُّروبُ
صَحَارَى والأَسِرَّةُ في حَيْرَةٍ وفي حَسْرَةٍ.
لا أعاشِرُ إلا ظنونًا، - حنانك يا أيها الشعرُ
خُذني إليك أعني على حَمْلِ نَفْسي.

باردٌ باردٌ كلامُ الألوهةِ من دونِ حُبٍّ وشِعْرِ،
وتشكُّ الطبيعةُ والأبجديةُ فيه.

غالبًا عَزَلَةُ الذَّاتِ مُسْتَنْقَعٌ.

غالبًا لا يكون اللقاءُ بآخرٍ إِلَّا ظلامًا.

وَرَدَّةٌ لِلْقَاءِ
سَقَطَتْ مِنْ يَدِ الْفَضَاءِ.

أروْحُ وأَغْدُو مُوثَقًا بتشرّدي، -
كَأَنِّي نَارٌ تستجيرُ مِنَ النَّارِ.
يُضِلِّلَنِي الضُّوءُ الَّذِي أَهْتَدِي بِهِ
وتهدمني في عَقْرِ دَارِي أَشْوَاري.

بَيْتُهَا قَالَ: "غَيَّرْتُ عِطْرِي هَذَا الصَّبَاحَ، لِبَسْتُ الْهَوَاءَ...
- "هَلْ أَلَا قِيكَ هَذَا الْمَسَاءَ؟"

مدائن حَبِّي أَشْتَضِيءُ بِغِيَّهَا

جبيني تَرائيلَ وكَفَّايَ أوْثانُ
أطوف بأنقاضي: جراحي هياكلُ
وحزني تَغْزيمُ، وأرضي بُزْكانُ.

هُوذا، يُغْمِضُ اللَّيْلَ عَيْنِيهِ، في جسدنا
وها، ضَمَّنَا سَاعِدَاهُ.

الأساطير زارت حقولَ طفولَاتنا
وها هي تَسْرَحُ فيها خُطَاها وقُطْعانُها.

قُلْتُ: هذا كتابٌ؟ لماذا
لا أرى فيه إِلَّا قَمِيصًا
ترتلُ خيطانهُ جسدَيْنَا؟

إنها صفحاتُ،
تتقلَّبُ، تُوْغِلُ في جِبرها،
وأرى كلماتٍ
تتطايرُ في غرفة النّوم، عُزْيَانَةٌ.

ف / فاء

فَلَكْ عاشِقٌ يهاجرُ من أرضِهِ وبيوتاتِهِ،
كوكبًا كوكبًا.
هكذا يتقدّم هذا الزمانُ ويسأل أنقاضَهُ،
وما قبلَهَا،
وما بعدَهَا،
هُوَّةٌ بعد هُوءَةٍ:
كيف لا يخلق المستحيلُ على صُورَةِ النُّبُوهِ؟

ماذا أقول لِطفلي كان يكتبني
على التُّرابِ، وَيُغويني، وَيَسألني
مِنْ أين جئتُ؟ أكادُ، الآنَ، أسمعُهُ
يقولُ: "أسمعُ قَلْبَ العُشْبِ يَنْبِضُ في
صَدْرِي، وأفهمُ هَمْسَ الرِّيحِ للغصنِ".

دَمِي بِحَارٍّ وَأَسْفَارٌ إِلَى وَطَنِ
بِلا حدودٍ، ولي مَوْجِي، ولي سُفُنِي.

قُلْتُ لِحَيَّةِ آدَمَ: قولي
ما لَوْنُ الحُبِّ،
ولماذا،
لا يُشْبِهُ لَوْنَ الرَّبِّ؟

سنواتي،
كلَّها شَيِّخَتْ
وأنا لم أَزَلْ
أَتَلَعَثُ فِي كَلِمَاتِي، كَأَنِّي طِفْلٌ.

- ما اسْمُ قَابِيلَ؟
- هَابِيلُ فِي لُغَةِ مِيتَةِ.
- ما اسْمُ هَابِيلَ؟
- قَابِيلُ فِي لُغَةِ حَيَّةِ.

كنت أحببْتُها طريقًا إلى نفسِها - وحدها، وإلى كبدِنا معًا.
ومشيَّتْ، ولكنتي لم أصِلْ.

يَاسَمِينُ دِمَشْقِي نَاطِقُ فَاتِنٍ، -
وهو الآن يِكِي وَيَشْكُو، صَامِتًا، تَائِهًا.

ليس بيني وبينك يا غُوطَةَ المدائنِ، من أوَّلِ المستحيلِ،
إلى آخرِ المستحيلِ
غَيْرُ حَبِّي وَحُزْنِي، وَغَيْرُ الرُّحِيلِ.

لَنْ يَكُونَ السَّرِيرُ الْأَخِيرُ لَجِسْمِي تَرَابًا
سَيَكُونُ رَمَادًا.
وسأزقِّي على سُلَمِ الفضاءِ
لهبًا يلبسُ الهَوَاءَ.

هكذا سوف أهُمِسُ للشمسِ: كَلَّا،
لم أكن صورةً.

سأكون كمثلك: معنى.

الرَّغِيفُ صَلَاةٌ إِلَى الْأَرْضِ - مَا أَعْمَقَ الصَّلَاةُ:
جَسَدًا وَاحِدًا،
هِيَ وَالْأَرْضُ وَالْحَيَاةُ.

لَا شَرِيكَ لِصَوْتِكَ فِي قَوْلِ هَذَا الْمَكَانِ وَهَذَا الزَّمَانِ،
فَأَنْتَ الْمَكُونُ وَالْبَارِئُ الْفَاطِرُ،
إِنَّهَا غِبْطَةُ الْخَلْقِ فِي أَوْجِهَا - هَكَذَا، كُلُّ شَيْءٍ: ضِيَاءٌ وَظِلٌّ،
حَصَى وَتَرَابًا، هَوَاءٌ وَمَاءٌ، شَجَرًا،
ذُرُوبٌ جِبَالًا،
يُشَارِكُ فِي فَعْلِكَ الْمُنَوَّرُ، يَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ.

”خُذْ كِتَابَكَ وَاقْرَأْ
آمِنًا، طَيِّعًا“، يَقُولُ الْفَقِيهُ، وَيَكْمَلُ: ”صَمْنًا،
إِنْ سَمِعْتَ بِرَأْسِ
تَكْرَمَ سَيَافُهُ
وَرَمَاهُ إِلَى حُفْرَةٍ“.

هكذا يُكْتَبُ الزَّمانُ على هذه الأرض: ما كان، ما هو آتٍ:
إنها الكارثة
لغة في شظاياهِ آثاره وأنقاضه
وأشياءه العابثة.

أحلم الآن: رأسي تُفاحَةٌ
على رأسٍ رُمح.
أتموِّج - لي شاطئٌ نابذٌ، ولي شاطئٌ حاضِنٌ
وأغلو وأهبط في نشوة،
وأعرف أن الجِراح
هي عُقْمٌ مرارًا، ومرارًا إلقاءً.

هوذا لا نراه - يرانا
يتعقب آثارنا
لا يُصافحُ إلا ظُلُماتٍ تُسافر فينا.

هوذا يتقلب في خطواتي شوكة شوكة،
هوذا يفتح في كلماتي بُرْعما بُرْعما.

الفضاء انحدارٌ
والمسافات رَمْلٌ وعَضْفٌ،
وفي كلِّ خَيْطٍ
من وسائدِ حُبِّي وأمواجهِ الهائِمةِ
مُدُنٌ عائِمةٌ.

مِنْ زَمَنٍ، كَانَ الْإِسْفَلْتُ هَبَاءٌ
وَهُوَ الْآنَ يَصِيرُ سَمَاءً، -
زَمَنٌ: مَلَاكَ أَعْمَى.

جِسْمٌ شَطَرَتْهُ الدُّنْيَا - كَيْفَ، لِمَاذَا
شُطِرَتْ فِيهِ
تِلْكَ الْآخِرَةُ الْعَمِيَاءُ؟
مَهْوَى نَتَقَلَّبُ فِيهِ
لَا أَصْوَاتٌ، لَا أَصْدَاءُ.

كَمْ تَشَرَّدَتْ فِي طَرُقِ حَرَّةٍ وَصَوْلًا إِلَى قُمْقُمٍ
مَلِيءٍ بِعَطْرِ يُصَالِحُ بَيْنِي

وبين مجاهيل هذي الحياة،
وبيني وبين الملائ،
ولكنني لم أصِل.
طريقي كلها اليوم تبحث عني ولكنها لم تصل.
وحده يستطيع الوصول إلى ما يُريد:
الخطأ!

الحقيقة عند المصلين (وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ!) وَغَدُّ بموتين:
مَوْتٌ - نِكَاحٌ، ومَوْتٌ - خُلُودٌ.
هكذا اتنبأ أن الزَّمانَ - الدُّخانَ
سوف يرقص من أول في سفينة نوح
وولائم لوط وموسى
وسوف يكون لكل نبي
ما يُزَكِّي به رَقَصُهُ، ويزَكِّي المكانَ - الزَّمانَ.

المسافات مرصوفة بأحلامها،
والخطى واليه،
هكذا لا نرى في الشوارع إلا
صُورَ الآلهة.

لا ترى العَيْنُ إِلَّا إذا فَكَّرَتْ
لا يرى الفكرُ إِلَّا إذا كَانَ عَيْنًا.

يَنْسُجُونَ سَرَائِلَهُمْ وَقُمَصَانَهُمْ
بِتَابِينَ مَوْتَاهُمْ، -
المَكَانُ دَمٌّ يَتَخَثَّرُ فِي جُثْثِ وَإِلَهَةٍ
تَتَكَفَّنُ بِالْآلِهَةِ.

مَنْ يُصَدِّقُ أَنَّ الرِّيحَ خِيوطٌ
تَتَلَبَّسُ قُمَصَانَهَا وَأُردَانَهَا؟
مَنْ يُصَدِّقُ أَنَّ الغُيُومَ لَغَاتٌ تَتَأَوَّلُ أَحْزَانَهَا؟

كَيْمِيَاءُ حُرُوبٍ،
يَجْهَلُ الظَّنُّ أَنِّي، وَكَيْفَ يُطَارِدُ أَسْرَارَهَا.
هَكَذَا تَخْرُجُ الْأَبْجَدِيَّةُ مِنْ جَمْرِهَا
وَتَصِيرُ رَمَادًا.
هَكَذَا - شَغَفِي أَنِّي سَدِيمٌ.

قُلْ: مَنْ الْقَاتِلُونَ؟ مَنْ الْحَيُّ فِي هَذِهِ الْجَمُوعِ؟
لا رَجَاءَ، تقول الأُضَاحِي
لا مِلَادُ تقول الدُّمُوعُ.

الفضاءُ اختِرَابٌ، -
على كُلِّ دَرْبٍ، وفي كُلِّ فَجٍّ
بَشَرٌ من معَادِنٍ من صَلَوَاتٍ ومن شَهَوَاتٍ
بَشَرٌ من ذَهَبٍ
رُكَّعٌ خَاشِعُونَ
يُسَلِّمُونَ خَطَاهِمَ لِأَهْوَاتِهِمْ
يَخْطُبُونَ وَيَسْتَمِرُّونَ
لَحْمَ أَبْنَانِهِمْ وَأَبَائِهِمْ
غَضَبًا أَوْ طَرَبًا.

كُتِبَ ظُلُمَاتٌ، كَلِمَاتٌ دُمَاءُ
وَالْقَصَائِدُ جَبَّانَةٌ
كَيْفَ؟ مَا هَذِهِ الْأَرْضُ؟ مَا هَذِهِ السَّمَاءُ؟
الْمُصَلِّونَ سَيْفٌ وَنَارٌ
وَالدَّمَارُ الْفَضَاءُ.

هوذا - ينزلُ البرقُ والغيمُ في خطواتي
والفضاءُ الرداءُ.

أتخيّلُ ما تهمس الأرضُ، ما يَجهرُ البحرُ، ما سيقولُ النَّباتُ،
وما ترسمُ الجبالُ، وما سيقولُ الهواءُ
سيكون بلا حكمةٍ - وجميلًا
أن يسير بك التّيهُ في شهوةٍ وافتتانٍ إلى ما تَشاءُ وما لا تَشاءُ.

ق / قاف

مُزَمَّلًا بِأَسَاطِيرِي وَلُؤْلُؤَهَا، -
أَسِيرٌ فِي حَاضِرِي مُسْتَسْلِمًا لِغَدِي.
أُطِلُّ مِنْ شُرُفَاتِ الظَّنِّ، مَنْحِنًا
عَلَى جِرَاحِي، مَحْمُولًا عَلَى كَبْدِي
مَدَى - سَرَابٍ، وَأَيَّامِي مُقَيَّدَةٌ
بِرَمْلَهَا، وَيَدِي لَا تَهْتَدِي لِیَدِي.
(نيسان ٢٠٢١)

قالوا، ويقولون: الله جميلٌ.
حسنًا. لكن قولوا: كيف يُحِبُّ، إِذَا،
عُبَادُ اللَّهِ، الْقَتْلَ، وَيَحْيَا كُلَّ مِنْهُمْ،
كِي يَذْبَحَ طِفْلًا،
أَوْ يَحْجِبَ وَجْهَ امْرَأَةٍ؟

منذ أسلمتُ حبي وشطآنه، لغواياته،
صارَت الشمس بيتاً له.

يَقِظُ، لا لأقرأ ما قاله سليمان عن نَمْلَةٍ
كان ينقل أفكاره وأحلامه على ظهرها، ولكن
لأقرأ ما كتبه
بالذبيب إلى وكُرِها،
وبالقش يحضنُ أهدابها، وبما سمعته
من فَم الرِّيح - مَسْحُورَةٌ
بما سَنه أبو الأنبياء.
يَقِظُ كي أَمَاهِي بين الهراء وهذا الفضاء.

لا تَسَلْ هل تجوع السَّماء؟ وحواء هل عَشِقتُ
حَيْضها مرّةً، وهل غسَلته، وكيف؟
وما لون آخر تفاحةٍ قطفتها؟
لا تَسَلْ، لا تَسَلْ!

كيف نقرأ في اللّغة العربيّة من تتحدّر منهم،

وَتُسَمِّيهِمْ: "الْوَرَى"؟
من أسائل: تلك الثريا،
أم أسائل هذا الثرى؟

- عُمرُك، الآن؟

- أعرفُ أني

رغبةٌ لا تشيخ. وأقرأ ما قاله النواصي والمتنبى
وامروء القيس والشنفرى، وخلانهم جميعاً.
وأعشقُ أن أتغلغلَ في الظلمات التي عاشها المعري،
وأرى ما يرى.

ليس للماء إلا أن يُعانقَ أمواجهُ وهو يُغزى في ينابيعه
ويُسبى

ليس للماء في النار في الرّيح
والرّمْلِ أنى تفجّر إلا أن يواخى بين الترابِ وأوجاعه.

أتراه الهدهد يُصغي سراً حتى الآن إلى بلقيس!
يزوي ويحرّف ما كتبه

عَنْ لَهَبِ الْأَعْمَاقِ
فِي لُغَةِ الْعُشَّاقِ؟

ولماذا يأتي الآن ملاكٌ يحمل كيسًا
ليزورَ ملائِكَ شَحَّاذِينَ؟ لماذا
باسِمِ اللَّهِ، يقول الشَّيْطَانُ:
أَيْنَ، إِذَا، هذا الإنسان؟

الصَّبَاحُ انحناءُ
لا يُشيرُ إلى أيِّ طَيْرٍ، لا يُحيي الشَّجَرَ.
هَلْ تَغَيَّرَ؟ هل جسمه كما قِيلَ، صارَ ضَبَابًا،
وهل رأسُهُ يَصِيحُ: "أنا بَقْلَةٌ مَرَّةً،
وأنا مَرَّةً، حَجَرٌ؟"
ولماذا أرى الشَّمْسَ تهذي، ولا تحمل اليومَ أيَّ شُعَاعٍ،
مِنْ كِتَابِ الْأَسَاطِيرِ،
أو مِنْ كِتَابِ الصُّورِ؟

رَمَلٌ فِي حَنْجَرَةِ الْكَوْنِ وَغَيْمٌ الْوَقْتِ يُضَلِّلُ شَمْسِي.

أَعْلَى، إِذَا، أَنْ أَتَمَاهَى
مع هذا العَبَث - السَّخَرِ الأَعْلَى،
وَأَشْكُكَ نَفْسِي فِي نَفْسِي؟

لم تكن مرّة جراحِي عِبْنًا، أَوْ طَرِيقًا إِلَى مَهْرَبٍ. جراحِي
لُجَجٌ أَتَنَوَّرُ فِيهَا أَقَالِيمُ حُبِّي - أَعَاصِيرُهَا، وَأَفَاقُهَا،
وَشَطَائِنُهَا.

جَسَدُ الْكَوْنِ فِي هَذِهِ اللَّحَظَاتِ الْمَرِيضَةِ،
نَجْمٌ

يَتَفَتَّتْ، يَهْوِي شِعْلَةٌ شِعْلَةً.
هِيَ ذِي تَقْذِفِ الْغَوَايَةِ أَوْهَامَهَا
وَأَفَانِيْنَهَا
بَيْنَ أَحْضَانِ حُبِّي.
هَذَا أَتَشَرَّدُ فِيهِ احْتِفَاءً
بِأَقَالِيمِهِ وَتَقَالِيدِهَا.

أَصْحِيحُ أَنْ تَكُونَ سَعِيدًا

هُوَ أَنْ تَزْرَعَ الْوَرْدَ فِي صَخْرَةٍ؟

لا يَقيِنُ - كما أَكَّدَ المَعْرِي، -
هكذا، كانَ ظَنِّي دوماً رِداءً لِشَكِّي،
كانَ شَكِّي دوماً رِداءً لِظَنِّي.

أَهُوَ الْإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ لِكِي يَكْتَشِفَ الْعَالَمَ فِي مَجْزَرَةٍ،
أَوْ مَقْبَرَةٍ؟
مَنْ تُرَاهُ الْآئِمُّ الْأَكْبَرُ فِي الْكَوْنِ، وَمِنْ أَيْنَ تَجِيءُ الْمَغْفَرَةُ؟

مَنْ يَقُولُ: ”الْغَرِيزَةُ وَالْعَقْلُ ضِدَّانِ“، لَا يَتَحَدَّثُ إِلَّا بِلِسَانِ الْحَقِيقَةِ
- مَخْنُوقَةٌ.

الْغَرِيزَةُ وَالْعَقْلُ وَجْهَانِ سَفَرٍ وَاحِدٍ
فِي مَتَاهَاتِنَا وَمَجَاهِيلِهَا.
مَا أُحَاوِرُ، أَوْ مَا أَسْأَلُ إِنْ لَمْ يَكُ الْبَدْءُ؟ مَا الْبَدْءُ؟
يَا أَيُّهَا الْقِيلُ - قَالَ؟
إِلَيَّ الْآنَ إِلَّا
أَنْ أَرْجِ الْكَلَامَ وَابْتَسْفِرَ السُّؤَالَ؟

لا أَفْتَشُ عَنْ أَيِّ بَابٍ لا أَسْأَلُ عَنْ أَيِّ دَرْبٍ، -
لِي أَبْوَابُ هَذَا الْفَضَاءِ
وَالدَّرُوبُ إِلَيْهَا غُلُوبٌ وَغَوْصٌ - مَرَايَا، مَفَاتِيحُهَا
مَسَاءٌ صَبَاحٌ وَحَاءٌ وَبَاءُ!

هوذا نكتب الحياة، ولكن
برمادِ أحبائِها.

ماذا أقولُ لِأَسْمَائِي؟ شَقَائِقُ؟ لا. مَنَابِعُ؟ ذُرُوَاتُ؟
لا! أقولُ هَوًى، -

فَيَنْضُ مِنَ الصُّورِ الْأُولَى، وَأَخِيلَةُ وَمَا تُضِيءُ مَنَارَاتُ،
وَمَا كَتَبْتَ مَدَائِنَ تِلْكَ أَسْمَائِي تُفَاجِنِي
حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أُولَدْ وَلَمْ تَلِدْ.
لِي، بِأَسْمِهَا لُغَةً مَمْرُوجَةً بِدَمِي، -
هَلْ أَنْتَ أَنْتَ كَمَا أَعْغَوَيْتَ، يَا وَلَهِي؟
هَلْ أَنْتَ أَنْتَ، كَمَا اسْتَشْرَفْتَ، يَا كَبِدِي؟

فَجَاءَ - نَبَتْ وَرْدَةٌ فِي دَمِي .
فَجَاءَ - كَوَكَبٌ مُنْسِكٌ بِيَدَيَّ أَرْزَةٍ ،
سَائِلًا مِنْجَلِ الْحُلَمِ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ، وَكَيْفَ
حَصَدْتَ سَنَايِلَ هَذَا الزَّمَانِ ؟

فَجَاءَ ، يَا خِذِ اللَّيْلُ مِغْرَاجَ حُلْمِي ،
وَيُغَيِّرْ وَجْهَ الْمَكَانِ .

لَمْ أَزَلْ جَاهِلًا أَنْ أَعْتَبَرَ عَمَّا أَرَى
لَمْ أَزَلْ جَاهِلًا أَنْ أَعْتَبَرَ عَمَّا لَا أَرَى / هَكَذَا سَاغَتْنِي :
أَعْطِنِي يَدَكَ الْآنَ ، خُذْنِي
يَا هَوَى الْكَلِمَاتِ
حَيْثَمَا شَتَّ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ .

كَيْفَ تَسْكُنُ فِي جَوْفِ حُوبِ
وَتُؤْمِنُ أَنَّكَ حَيٌّ ؟

ك/ كاف

ما الذي يمزج الله بالقتل، والقتل بالله،
والعُرس بالمذبحة؟

ولماذا،
مدنُ الله صارت
مدنَ القتل، والذبح، والأضرحة؟

لستُ إلا كتابًا
يتسلسلُ جرحًا فجرحًا.

لا أرى الشعر إلا حيث لا ينتظر
المكانُ زمانًا
والزمان مكانًا
وضوء البصيرة مُستنفرٌ كضوء البصر.

يرفض الفجرُ أن يتوقّف عن طَرْقِ بابي في كلّ يومٍ،
قبل أن تنهضَ الشمس من نومها.

لعنة الأرض أنثى، يُقالُ - ولكنّها، وأعني السَّماء،
ذكوريّة.
فلماذا، إذا، سيكون الخلاصُ السماويّ،
حوريّة؟

بُرْكَاة آسنه، -
إنّها الكَوْنُ أجمعُ في هذه
الآونة.

كيف لي أن أقول وداعًا لكونٍ ليس فيه لقاء؟
فلأقل - عاشقًا غريبًا: كمثلي
شجرُ البلخ في تونس
يفرشُ الليلَ سجادةً،
ويُحيي الضيوف: طيورَ المساء.
(تونس العاصمة، ٧ شباط ٢٠٢٤)

أعشق أن أبكي، أحياناً، بين الناس، ولكن
أعجب من نفسي،
لا أقدر أن أبكي، حقاً،
إلا حين أكون وحيداً.

- نظرٌ خارق!
- حسناً! هل تساءلت ماذا سيفعل في غيـب
من لغاتٍ
ومن شهواتٍ
ومن ظلماتٍ؟

هل أبالغ إن قلتُ: لم تنشأ الألوهُةُ إلا
بِغُفٍ - دماً، وحروباً،
منذ آدم، فتُكا بالوجود، وطُغُسا
لبُهاءاته؟

هل أبالغ إن كنتُ أزعمُ أنّي
لا أرى في طريقي إلى ما أحبُّ،

سوى عالمٍ لا يرى؟

لَسْتُ أَهْذِي، وَلَكِنِّي أَحْسُ كَأَنِّي فِي مُفْتَرَقٍ:
هَكَذَا أَتَعَقَّلُ مَا لَا يُقَالُ، وَأُولَمُ حَرَّيْتِي لِلْأَرْقِ.
هَكَذَا سَأَقُولُ عَنِ الْمَرَأَةِ الَّتِي وَسِعَتْني أَحْضَانُهَا:
هِيَ حَرَّيْتِي وَحَبِّي، وَلَكِنْ
لَا أَعِدُّ سَمَاوَاتِهَا وَإِنْ تَكُ لَا تَنْتَهِي!
أَعِدُّ النُّجُومَ الَّتِي تَتَلَأَلُ فِيهَا.

سَأَقُولُ لِحَزْنِي يَوْمًا
وَهُوَ يَسْهَرُ فِي مَقْلَتِي:
صِرْتُ أَقْرَبَ مِنِّي إِلَيَّ.

كَلَّمَا اضْطَرَبَ الْجِسْمُ زَادَتْ مَتَاهَاتُهُ وَفَتْوَحَاتُهُ.
جِسْمِي الْآنَ فِي هُدْنَةٍ
مَعَ تَبَارِيحِهِ،
وَأَنَا الْآنَ ضَيْفٌ عَلَيْهَا.

ضَرْبَةُ نَزْدٍ: تِلْكَ حَيَاتِي!
حَسَنًا! لَمْ أَلْعَبْ، بَعْدُ
يَا هَذَا الْعَالَمُ، أَيْنَ النَّزْدُ؟

يَبْدُو:
لَا مَائِدَةٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ، إِذَا لَمْ تَرْشَخْ سُمًّا.

زَمَنٌ -
شَكْلُهُ صَاعِقٌ، وَلَكِنَّ جَوْهَرَهُ قَشَّةٌ.

أَمْسِ، أَغْرَيْتُ شَيْطَانَ تَارِيخِنَا الْعَرَبِيِّ، - رُوَيْتُ لَهُ
مَا رَوَى النَّبِيُّ عَنْ نَفَرَتَيْتِي، وَعَنْ آدَمَ وَمُوسَى.
ثُمَّ أَطْعَمْتَهُ سُكَّرًا نَبَوِيًّا،
فَتَاهَ، تَجَسَّدَ فِي بُومَةٍ، وَخَرَّ صَرِيْعًا.

”الطَّبِيعَةُ طَبْعٌ، وَالْأُلُوهَةُ صُنْعٌ“ / يَعْرِفُ الْعَقْلُ هَذَا،
و”بَيْنَهُمَا فِتْنَةٌ“، يَعْرِفُ الْعَقْلُ أَيْضًا. وَلِمَاذَا، إِذَا

أصبح الكون فوضى وجود، وفوضى مصير؟

للجنون حقائق لا يعرف العقل كيف يُرْتَل آياتها،
ويَرْقى إليها.

قُلْ له، أيها القلب - ما أجمل الحقيقة - أنشودة
في فم شاعرٍ عاشقٍ.

”الإنسان غبار“ قيل - يُقال، ولكن
لا جَوْهرَ إلا منه وفيه.

الطبيعة طَبْعٌ - ولكن،
لكي نتحرَّرَ من كل قيدٍ.

ل / لام

قل وكرّر لهم
سوف نقتل من يتنفس حتى ولو كان طيرًا.
قل وكرّر لهم سنطهر هذا التراب سيصبح
وجهها آخرًا للسماء ونعرف ما تُنظرون وما
توعدون
وما كان ما سيكون أيها المُرَجَّأون.

تركت بيتها باكرًا وجاءت
تفحص جسمي تتقراه،
تحفر معراجها في تضاريسه وتعرف أن النبوة
قالت: إلعنوا الحب والشعر يا أيها المؤمنون
ليس في الشعر والحب إلا الضلال وإلا الجنون.

نسمع الآن هذا الغناء

شعراء يعيشون يستلهمون
كُلَّ ما يتخطى
النبوءات والأنبياء
ونغني معاً
ما الذي يتبقى إذا نُبذ الشعر والحبُّ،
غَيْرُ العماء؟

ما ترى هذه النبوءات: تأتي إليك،
وتأخذ منك الحياة،
وتستعبدُ الوجود،
وتمضي إلى شأنها، وتغرق فيه؟

لا ندى لا نسيم ولا ضوء لا مطر
لا زهر،
لا مكان لغير التشرّد - مُنحدرًا، مُنحدرًا!

غالبًا، عندما تلبسُ المعضلة
ثوبَ إحرامها،

أمامي وتنفر مِنِّي، تصرخُ الأسئلة:
لِمَ أخرجتني؟
وأسأل: كيف؟ لماذا؟
وجوابي سؤالي لنفسي:
كيف أخرجتها، ولماذا؟

لِي في أحشائي أكثر من بيتٍ
تأتي فيه وتروح غيومٌ لا تمطر إلا ثلجًا.

الفضاء يكرّر أصواته الآدمية:
”يكره الموت أسماءه الكثيرة في اللغة العربية“.

كاد الماء يصيرُ كتابًا
لا يقرؤه إلا عطشٌ
لا يرويه أيّ كتاب.

للخيالِ هوى جامعٍ خفيٍّ

يُوشوش ما حوله:

شَغَفِي أَنْ أَكُونَ اجْتِيَا حَالَمَا يَكْبَحُ الْفِعْلُ أَوْ يَمْنَعُ الصُّعُودَ إِلَى
ذُرُواتِ الوجودِ

شَغَفِي أَنْ أَضِيءَ الْمَكَانَ، أَغَيِّرَ مَعْنَى الْمَكَانِ،
وَأَنْ أَمْحُوَ الْحُدُودَ.

إِنَّهُ الزَّمَنُ الْعَرَبِيَّ يَكْرَرُ: "كَلَّا"
لَمْ أَعِدْ قَادِرًا أَنْ أَشَيِّعَ مُسْتَقْبَلًا مَيِّتًا".
إِنَّهُ الزَّمَنُ الْعَرَبِيَّ يَكْرَرُ: "نَبَّأ! لِمَاذَا
لَا تَزَالُ تُسَمِّنِي الْأَبْجَدِيَّةَ بِاسْمِي؟"

جَسَدٌ مُنْهَكَ وَعَقْلٌ يَدُبُّ عَلَيْهِ - عَلَى الْكَلِمَاتِ غُلُوءًا هَبُوطًا!
يَضْحَكُ الشَّيْءُ مِمَّا يَرَاهُ وَيُغْمِضُ عَيْنِيهِ،
مُسْتَسْلِمًا إِلَى صَمْتِهِ.

هَكَذَا - خُطْوَةٌ خُطْوَةٌ فِي طَرِيقِي إِلَى مَا أَحَسَّ كَأَنِّي أَرَاهُ:
آخِرٌ، أَوَّلُ

مَنْ أَنَا بَيْنَ مَنْ سَبَقُونِي وَمَنْ سَيَجِيئُونَ بَعْدِي،
وَمَنْ أَسْأَلُ؟

م / ميم

ما الذي تفعل الكلمات ولا شيء يأتي ويمضي في أقاليمها سواها؛
هكذا، سأكرّر ما قلته مرّة:
”لغتي أنْ جُرّحي
لا يزال يُضيء حياتي“.

لم تعد وَرْدَةُ الرِّيح تبوح بأسرارها لِعِشاقِها،
إنْفَجَزَ أيُّها العِطرُ عِشْقًا.

لا أريد نكوصًا عن السَّيرِ في لُجَّةِ العاصِفَةِ
بل أريد رفيقًا نتأخى معًا في جراحاتنا النَّازِفَةِ.

أنتِ أيضًا تُريدِني أنْ أغنيَ مِثْلَ غَيْرِي
مُسْتَرْسَلًا وَمُسْتَسْلِمًا لِمَا يطمسُ المُستحيلَ

وَيَسْتَأْصِلُ الْمَغْصِيَّةَ
كيف؟ مِنْ أَيْنَ لِي أَنْ أَغْنِي، إِذَا؟

هكذا، أَتَقَدَّمُ فِي طِينَةِ الْأَبْجَدِيَّةِ - أَصْرَخُ:
يَا سَيِّدَ الْكُؤُنِ وَالْحَرْفِ، كَيْفَ اسْتَرْخَتْ
وَلَمْ تَخْلُقِ الْأَغْنِيَةَ؟

سَأَقُولُ لِحَبْرِي: كُنْ لَيْلَ أَعْضَائِنَا.

إِنِّهَا رَبَّةُ الْحَبْرِ فِي غُرْفَتِي رَبَّةُ الْوَرَقِ الْآنَ فِي حَيْرَةٍ
وَتَجْهَلُ مَاذَا سَتَهْمُسُ فِي أُذُنَيْهَا.

فِي بُرْجٍ فِي طَرَفِ أَقْصَى مِنْ بَارِيْسَ، أَعِيشْ - أَبْعَثِرُ أَعْضَائِي -
أَتَبْعَثِرُ فِيهَا.

كُلَّ يَوْمٍ، أَقُولُ لِمَنْفَايَ: شُكْرًا.

قرأنا سوياً
وكتبنا سوياً
هكذا، أنت عرّفتني بنفسي،
ورسمتَ معي في طريقي إلى ما أرى،
خطواتي.

ليس في قتل سلطانك الآن إلا خنازيره،
تُرى، لم تزل قائداً، راعياً، هاوياً؟

تُزوي أنّ الأقفاصَ جميعاً جاءت،
واستلقت بين يديك استسلاماً، -
يعني هذا أنك تزهو أو تتباهى
بالقتل، وأنك طاغ؟

ما تكونُ الألوهة، إن لم تكن
كمثل الطبيعة، حريةً وحُباً؟

رُبُّمَا آثَرَ الْحُبُّ فِي شَهْقَةِ اللَّقَاءِ، وَمَعْرَاجِهَا،
أَنْ يَطِيرَ بِغَيْرِ جَنَاحٍ.

الْجَنَاحُ الَّذِي اخْتَارَهُ الْمَعْرِي
كِي يَطِيرَ خَفِيفًا فِي مَدَارَاتِ أَحْزَانِهِ وَتَبَارِيحِهِ.
يَتَحَوَّلُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ إِلَى قَلَمٍ جَامِحٍ
فِي يَدِي شَاعِرٍ صَدِيقٍ.

لَيْسَ عِنْدِي مَكَانٌ لَا كُتِبَ فِيهِ،
مَكَانِي كَثِيرٌ، كَمَثَلِ خُطَايَ، كَمَثَلِي:
أَيْنَمَا كُنْتُ، أَكْتُبُ، - لَا خِطَّةً.
زَفِيرٌ شَهِيقٌ وَفَيْضٌ أَنْبِجَاسٍ.

أَعْرِفُ الْآنَ: لَا شِعْرَ إِلَّا إِذَا كُنْتُ تَشْعُرُ أَنَّكَ تَحْيَا،
تَتَنَفَّسُ، تَمْشِي... تَتَخَيَّلُ أَنَّ الْكِتَابَةَ حَقْلٌ
تَتَنَقَّلُ فِيهِ - تَجِيءُ، تَشَاهِدُ، تَقْرَأُ، تَمْضِي،
كَمَا تَتَشَهَّى، وَكَمَا تَرْغُبُ
مَرَّةً، تَنْكُشُ التُّرَابَ، مِرَارًا

تَلَامِسُ وَجْهَ النَّبَاتِ، أَوْ تَلْعَبُ،
تَتَقَرَّى مَا تَرَاهُ، وَتَقْرَأُ، أَوْ تَكْتُبُ.
وَتُحِسُّ كَأَنَّ لَا مَفَرَّ لِحَسْمِكَ مِمَّا يَشَاءُ وَلَا مَهْرَبُ.

مَا أَحَبَّ الْبُكَاءَ بِلَا عِلَّةٍ وَلَا غَايَةٍ.
مَطَرٌ عَاشِقٌ نَفْسَهُ،
بِلَا فِيزِيَاءٍ وَلَا كِيمِيَاءٍ.

يَا خَرِيفَ حَيَاتِي زِدْنِي شَكًّا.
هَكَذَا أَتَيَّقُنُ أَنَّ الْكِتَابَةَ أَعْلَى يَقِينٍ.

أَنْتَ فِي الْهَآوِيَةِ
أَيْنَمَا كُنْتَ، أَنِّي ذَهَبْتُ، وَلَكِنَّهَا الْكِتَابَةُ رُبُّانُكَ، السُّفِينَةُ
وَالْمَوْجُ وَالذُّرُواتُ وَشَطَائِنُهَا الْعَالِيَةُ.

لَا تَقُولِ الْكِتَابَةَ شَيْئًا،
وَلَكِنَّهَا كُلَّ شَيْءٍ.

بين شمسي وظلّي، بين حبيّ وبينني
غابةٌ من نساءٍ.

ها هو الأصلُ ينمو ويكبر مُستَسْلِمًا إلى ظلّه،
ها هو الظلُّ يَسْتَنْبِتُ الأصلَ ما شاءهُ وَيَفِيءُ إليه:
صورةٌ لكتابٍ قديمٍ جديدٍ.

حَيٌّ، مَيِّتٌ، مَيِّتٌ، حَيٌّ:
آدَمُ هذا؟
حواء تقول: نبيّ - مَيِّتًا، شيطانٌ - حَيًّا.

- كيف سيبدو وجهك حين يقول التاريخ: استيقظ؟
- سيكون لوجهي أن يتقمّص وَجْهًا آخَرَ: يومًا
هذا القشُّ الوارفَ حول خطايَ يصيرُ شرارًا.

ما الذي يُرتجى بعدُ في هذه البلاد التي جئت منها؟ وما المُحتملُ؟
غير بُؤس التارُجُح بين المولّه والمبتذلّ؟

نجمة الشعر تخلع قُفطانها
وتغطّي به رَمادَ أحبائِها.

آدم؟

- لم يزل يتفياً في ظلّ أسطورة:
كتفاه جناحاً غرابٍ
ويدهُ ترابّ.

كان يجلسُ في ظلّ تُفاحَةٍ، -
يفكر: بين يديه كتابٌ له شكلُ صُخْنٍ.

إنّها المئذنة
تتذكر كيف أتاهَا ”الفرنْجُ“، وكيف اشتروها، وبنّوا حولها
آلةً - مِذْخَنَةً.
وأنا لا أجدّد في القول، لكنني أتذكر ما قلته مرّةً وأنوعُ:
”كانتْ....“

بكتِ المئذنة
حين جاء الغريب اشترأها

وبنى فوقها مدخنة“.

(في السنة ١٩٦٧، المسرح والمرايا)

صورة المالكِ المُلْكِ تَصْرُخُ محزومةً بِقَشٍّ:
”لم أعد أتذكر من أين جئتُ إلى أين أمضي“،

صورةٌ لالتباسٍ قديمٍ

صورةٌ - فتنةٌ

لم أعد قادرًا أن أضيء سريري بِسروالِها.

إنَّه الرَّمْلُ يمشي على الماء، والأرض تقتل حُرَّاسَها:
ذلك القتل يُنَجِّرُ باسمِ الألوهِةِ، في حَوْضِ عِطْرِ.

أقرأ الآن ما ليس يُقرأ إلا
بأنقاضه، وأسأل: من أين جاء؟ وماذا سيبقى؟ وأصغي
لِكُرَاتٍ من الثلج تقرأ شِغَرَ الغُيومِ وتصرخ: من أسأل؟

غابةُ الصَّيْدِ مفتوحةٌ

والطَّرائِدُ تَسْتَبْسِلُ.

هوذا يَنْحَنِي كوكبٌ
هوذا يَخْتَفِي مَسَارٌ:
”أَتَرَى لَمْ تَعُدْ تَعْرِفُ السَّمَاءَ
كَيْفَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ“؟ قَالَ الْهَوَاءُ
سَائِلًا، حَائِرًا.

أَتَرَى -
ضَيِّعَ الْحُبِّ مِفْتَاحَهُ؟
أَتَرَى ضَيِّعَ الْعَاشِقِ الْمَشْرَدِ فِي تِيهِ أَحْوَالِهِ
أَبْجَدِيَّةَ أَشْرَارِهِ؟

قَلَمًا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّبِيعَةِ غَيْرِ التَّشَابُهِ: لَا سُلْطَةً وَلَا فِرْقَةً وَلَا كُفْرًا
لَا أَمْرًا، لَا نَهْيًا، لَا سَيْفًا، لَا مِقْصَلَةً،
وَلِمَاذَا، إِذَا، لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا - أَنَا وَالْأَلُوهة، غَيْرِ التَّنَابُذِ فِي كُلِّ مَا
كَانَ أَوْ مَا
يَكُونُ - وَفِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ مَسْأَلَةٌ!

أَلْجِدَارُ الْقَدِيمُ يَوْشُوشُ جِيرَانَهُ:
”هَبَطَ الْغَيْبُ فِي شَكْلِ أَفْعَى
وَسَيَّصَعْدُ فِي شَكْلِ ذَنْبٍ“.
أَلْجِدَارُ الْقَدِيمُ وَفِيَّ لِتَارِيخِهِ:
لَمْ يَكُنْ آدَمٌ غَيْرَ تَفَّاحَةٍ.

وَطَنٌ شَامِخٌ بِأَشْلَانِهِ وَأَنْقَاضِهِ،
وَطَنٌ عَامِرٌ
بِمَحَارِبِهِ وَجَلَابِيهِ وَسَرَادِيهِ.

لَا تَكُونِ الْقَصِيدَةُ بَيْتًا
إِذَا لَمْ يَكُ الْحُبُّ مِفْتَاحَهُ.
لَا تُغَامِرْ، إِذَا لَمْ يَكُنْ خُرُوجُكَ مِمَّا تُغَامِرُ فِيهِ وَمِنْ أَجْلِهِ
طَرِيقًا إِلَى لُجَّةٍ، لَا إِلَى شَاطِئٍ.

أَلْفَضَاءُ رَغِيفٌ
وَالطَّرِيقُ الَّتِي شَقَّهَا الْأَنْبِيَاءُ وَصَوَّلَا إِلَيْهِ، دَمٌ.

كُتِبَ قُدُّسَتْ، تُقَدَّسُ لَيْسَتْ سِوَى الْكَوْنِ يَنْسَبُ فِي جَوْفِ حُوتٍ.

ما الذي تفعل السماءُ إذا التهمت أُمَّةً أختها؟
أو تحوّل فيلٌ إلى فأرةٍ؟

طُرُقٌ ليس فيها شرٌّ أو رماذٌ
لن تكون دليلاً إلى أيِّ ضوئٍ.

أتساءل في حشرةٍ: لماذا
لم يعد مؤمنٌ يفيء إلى رَبِّهِ وَيُصَلِّي
إذا لم يكن جسمه كله
حديداً ونازاً.

ن / نون

عندما جرححتني ذئابُ دمشق، سمعت أنينًا يسيلُ من الجرحِ:
لا تشكُ،
لم تكُ إلَّا
زائرًا عابرًا،
جاءَ من عالمٍ آخر، غريبٌ.
وقُل: ربُّما، لم تكنْ جدتي سوى وردةٍ.

كلامُكَ ميدانُ حَرْبٍ
ولسانُكَ سيفٌ:
لمن، ولماذا تغني؟

تُراني مَهَبٌ
لأعاصيرٍ لا تنتهي؟

أَنْتَ لَا تَتَنَفَّسُ، لَا تَتَجَدَّدُ إِلَّا
بِخَلَايَاكَ، فَاصْرُخْ:
كُنْ لِمَوْتِي نَارًا يُوَحِّدُهَا بِالْأَبَدِ،
أَيُّهَذَا الْجَسَدُ.

لَا أَسْمِي النِّهَايَةَ إِلَّا رِضَاعًا لِمَا يَبْدَأُ اللَّانِهَايَةَ
لَا أَسْمِي الْوُصُولَ إِلَى خَاتِمِ النُّبُوءَاتِ إِلَّا شُرْفَةً لِلْبِدَايَةِ.
إِنَّهَا هِجْرَةُ الشَّمْسِ فِي فِتْنَةِ الْكَلَامِ وَفِي طَبَقَاتِ الْغَوَايَةِ.

دُمِيَّةٌ تَمْشُطُ الْآنَ شَعْرَ السَّمَاءِ، -
هَآ هُوَ الصَّخْرُ وَرَدٌّ،
هَآ هُوَ الرَّمْلُ مَاءً.
هُوَذَا قَاسِيُونَ يُرْتَلُّ آيَاتُ حَيَاتِهِ وَتَمَاسِيحِهِ.

كَانَ جِسْرٌ صَدِيقٌ فِي دِمَشْقَ، وَقُلْتُ سَأُعْطِيهِ يَوْمًا كُلَّ مَا قَلْتُهُ
عَنْ صَدِيقَتِهِ الْعَاشِقَةِ،
كَانَتْ امْرَأَةً خَارِقَةً!

إنهم ينقرضون
لا قبور تسأل الأرض عن الأرض عن الوارث والمُلك،
و"لا مَنْ يحزنون".
إنها لحظة من يجهل: "مَنْ نحنُ؟" و"من أنتم؟" و"مَنْ هُمْ؟" -
هؤلاء الآخرون؟
أغلق المسرح؟ هل يعتذر الراؤون،
هل يستسلم المستضعفون؟

إنكم تنقرضون.

ربما يقدر الشعر أن يكتب الموت في بيته، ولكن
كيف يقدر أن يكتب الطريق إليه؟

وطن لم يك الغيب فيه سوى خرقه
من عباءة جلّاده.

همه أن يعيش كمثله، -

هكذا، لا يُحبُّ الحياة إذا لم تكن هُراءً.

يُخطئ الموتُ إن قالَ عَنِّي ما قال عن
أوزفيوسٍ.

أتعلّم - كيف أخيط شراعًا إلى مَوْجَةٍ.

زمنٌ - بركةٌ آدميّة
يتخترُ فيها دَمُ الأبديةِ.

عالمٌ - غيبه دواءٌ وداءٌ
يتقلبُ في تيهه، ويرتجلُ الأنبياء.

كيف نحيا
إذا لم يَكُ الله مِيتًا؟

لا أحبّ الجلوسَ على شاطئِ الكلماتِ،
أحبُّ الدُّخولَ إلى لُجَّها -
الهبوطُ علوّ والعلوّ هبوطٌ،
إنه الوقتُ، - أصغي إلى الصّمتِ، يهذي.

الزّمانُ ثَقِيلٌ على كاهل الأرضِ،
والليلُ يحزنُ حين يَرى الشمسَ تخرجُ من بيتها.

في زمانٍ أهَيَّ نفسي لأقدمَ للموتِ ما لم يزلَ بَعْدُ مُسْتَأْنَسًا
بحياتي، وما هي ناري ورماد تواريخها في طريقي إليه.
سنواتٌ من الضُّوء كيف أقيسُ مسافاتها؟
وكيف يؤاخي جموحي
بين أطرافها؟ وأقنعه أنها سنواتي؟
لا أرى ما أقدمُ للموتِ في ظُلْمَةِ الطّريقِ سوى خطواتي.

هـ / هاء

قُلْتُ، يَا "مَالِكَ الْمُلِكِ": لِمَ أَخْلَقَ النَّاسَ إِلَّا "لِكِي يَعْبُدُونِي"،
لِمَاذَا، إِذَا، قُلْتُ: "إِنِّي غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"؟ وَكُنْتُ
"اشْتَرَيْتُ" النَّفُوسَ، وَبَعْتُ "الْجَنَانَ"، تُرَى
أَيْنَ أَنْتَ: هُنَا، أَمْ هُنَاكَ؟
وَلَسْتُ أُرِيدُ جَوَابًا، وَأَنْفَرُ مِنْ لَفْظَةِ السَّمَاءِ،
وَأَمُتُّ صَوْتَ الْمَلَائِكَةِ.

مَا تُرَانِي أَفْعَلُ لِلْآخِرِينَ - وَهَلْ لِي
مَا أَقْدَمُ لِلْمَتَعِبِينَ،
سِوَى تَعَبٍ آخَرَ؟

بَيْنَ نَفْسِي وَطَبْعِي عَهْدٌ، -
لَا أَقُولُ: الْحَقِيقَةُ بَيْتٌ
إِذَا لَمْ أَكُنْ سَاهِرًا عَلَيْهَا،

بين أحضانها.

”من أنا“؟
سألتني، مرّة، وردة.

هَجَرْتُ، واستسلمت نفسي لِغُرْبَتِهَا
حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَفْصِلْ وَلَمْ أَصِلِ
شِوَاطِنِي سَفَنَ مَكْسُورَةٍ، وَدَمِي
عَضَفْتُ، وَأَرْضِي لَا قَوْلِي وَلَا عَمَلِي.

كَانَ قَنْدِيلُنَا بَصْرًا آخَرَ يَتَنَقَّلُ فِي الْبَيْتِ
يَسْتَفْسِرُ الزَّوَايَا، يَتَلَبَّسُ أَحْجَارَهَا
وَيُوشِشُ جُدْرَانَهَا مَا تَشَاءُ وَمَا لَا تَشَاءُ
لَا سِيَاحٌ وَلَا حَارِسٌ
غَيْرَ مَا يَرْسُمُ الْهَوَاءُ، وَلَا بَابَ إِلَّا الْفُضَاءُ.

دائمًا، كان جسمي

يَخَاصِمُ، سِرًّا، شَرَايِنَهُ.

”كُلَّ أَرْضِ سَمَاءٍ“:

من جديد، سأصغي إلى الشمس، تملي تعاليمها.

أَيْهَذي الدَّرُوبُ التي رسمتها خطائي

سأظلُّ أَغْنِي:

ليس لي من عَدُوٍّ سِوَايَ.

و/واو

الْطُّفُولَةُ، والماء، والضوء، والريح، وَجْهُ الفضاء، دُمُ الْوَقْتِ،
والليل، والفجر، والعشب، ما يقرأ التَّابُ، وما يكتب النُّخِيلُ.
كُلُّهَا، كُلُّهَا تَغْنِي
(ما أحبك سيزيف، ما أجمل الصخرة التي تتدحرج في كبدِ
المستحيل)

ما الذي سَأَسْمِيهِ مستقبلاً
غيرَ هذا الهواءِ - الزَّمانُ،
يتنقل من زهرة إلى زهرة
ويُحْيِي المكانَ.

هوذا أتقصي وأستقرئ السماءَ وآلاءَها - الخلود، النعيم
خطوةً خطوةً، شهقةً شهقةً،
وأرى لا أرى أثرًا للنعيم، أرى لا أرى
غيرَ ما يقرأ الرُّمَادُ، وما تكتبُ الجحيمُ!

لا يرى نفسه حين يصغي إليها في المكان الذي ينتمي إلى وجهه.
يراهما - حين تصمتُ،
أو حين تنأى.

”شَقُّهَا“^١ - يا امرأ القيس، أبهى وأبعد مما توقعتُ،
كان الرضيعُ ابنُها على زندها،
صورةً عنكَ أو مِنْكَ - محلومةً، ومكبوتةً.
ما أحبَّ الطريقَ إلى ضوئِكَ الآن! ضوؤه - حينئذٍ
للطبيعة، - فيها ومنها وعنها،
وما قبلها،
وما بعدها.

أنتَ التائهُ في بَيْداءِ لُغاتِكَ
ماذا؟ من أسأل عنكَ، وكيف؟
تُراني أسألُ:
شَمْسُ الصُّورةِ؟ لَيْلُ المَعْنَى؟
لَيْلُ الصُّورةِ؟ شَمْسُ المَعْنَى؟

١ (حواراً مع قول امرئ القيس في ”معلقته“: إذا ما بكى من خلفها، انصرفَتْ له
بِشَقٍّ، ونحتي شَقُّها لَمْ يُحوَّل).

أَمْ أَسْأَلُ ذَاكَ الْجُزْخَ الدَّائِرَ يَنْزِفُ مِنْ رُثْيِكَ وَيُوغِلُ
فِيكَ وَيَلْبِسُ وَجْهَكَ أَنِّي كُنْتُ؟
مَنْ أَسْأَلُ عَنْكَ؟

لم يصل جسدٌ لأقاصيه
في الكشف عن سيره،
وما تكثرُ اللّانهايةُ فيه:
فضاءٌ - خفاءٌ يؤكدُ أنّ
الألوهة جنسٌ.

ي / ياء

هل في كلّ عملٍ أملٌ حقًّا؟
زِدْنَا عِلْمًا أَيُّهَا الْجَسَدُ.

كتب أخرى من فئة "شعر"



إنَّها الحربُ! وحشٌ يلتهمُ الكونَ!
وما أكثرَ جمعيَّاتِ الرِّفقِ بهذا الحيوانِ!
جمعيَّاتٌ تقرأ الماءَ بعين الرَّمَلِ، وتقتاتُ بالقَتْلِ.
وكلُّ جَنَاحٍ هو، في عينيها، جُنَاح!

ISBN 978-614-03-2360-5



9 786140 323605 >

DAR
AL SAQI



دار
الساقية



www.daralsaqi.com